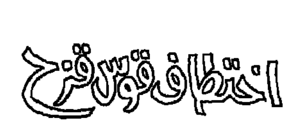


محمود قاسم

دار الشروق




اختطاف قوس قزح

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيــال × خيــال

اختطاف قوس قزح

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق



(١)

بدت المباراة شديدة الإثارة فى اللحظة الأولى لبدايتها .

فقـد احتشد أبنـاء مدينتـى « التفاحـة البنفسجية » و« البرقـوق الطـازج» أمام شـاشات البـث لمشـاهدة وقـائع المباراة العجيبـة ، والمنتظرة .

وفى الملعب كان هناك قرابة ثلاثة ملايين متفرج ، جلسوا جميعا يشجعون أعضاء الفريقين .

كان كل شىء معد سلفا لهذه المبـاراة الساخنة ، والتى لابد ان يكون فيها غالـب ومغلوب . ويجب أن ينتصر أى من الفريقين فى الوقـت المسموح به . فقد آن الأوان أن يثبـت كل فريق تفـوقه على الآخـر ، بعد المنـافسـات الحادة والشديـدة بين المدينتين فى الفترة الأخيرة .

امتلأت القلـوب بالحماس ، وبـالمشاعـر المتدفقـة ، وراح أبناء المدينتين ينشـدون الأغنيـات الحماسيـة التـى تعبر عـن تعصبهـم الشديد لما أنجزته مـدينتهم فى الفترة الأخيرة . وأدرك الكل أن هذه المباراة ستحسم لمن الغلبـة : مدينة « التفاحـة البنفسجية » ، التى

استعدت بكل قدراتها من أجل دخول المباراة ، أم مدينة « البرقوق الطازج» التى فتحت أبوابها لأكثر من مليونى مواطن من مواطنى مدينة التفاحة كى يأتوا ويحضروا وقائع المباراة .

ورغم جو المنافسة الشديدة التى انعكس فى كلام الناس ، ومايتردد على ألسنتهم من آمال عريضة بالنصر ، فإن جوا من البهجة كان يشع على الجميع ، بدا كأنهم فى مهرجان دولى للفرحة . وجاء أبناء «مدينة التفاحة البنفسجية» معهم بأشياء كثيرة معتقدين أنهم سوف يثيرون انتباه المدينة المنافسة . وذلك مثل الصفارات الناطقة ، والملابس المتعددة الألوان الفضفاضة ، وبدت ملابس النساء على أحدث موضة باعتبار أن آخر تقليعة هى الألوان المجنونة المتضاربة . جاءوا راكبين الأوتوبيسات الطائرة التى حطت فى الشوارع ، وسكبت آلاف البشر وعادت لتأتى بقوم جدد .

كانوا يحملون معهم من الأجهزة مايثير الدهشة ، ومن الأطعمة مايفتح الشهية ، وانطلقوا يغنون للتفاحة البنفسجية المدينة التى لاتعرف سوى البهجة .

ولكن ، ما إن نزل أبناء تلك المدينة إلى مدينة «البرقوق الطازج» حتى كانت الصدمة .

(٢)

على الشاشة الاليكترونية جاءت كلمات ذلك «الشبح الأزرق» مليئة بالحسرة :

ـ آه . . إنه يوم ملئ بالشمس على المدينة الزرقاء . .

كان الشبح الأزرق يعرف أن مدينته التى لاتدخلها الشمس قط ، يمكن أن تصيبها كارثة لو عرف النور طريقه يوما إلى سمائها الداكنة . ولذا فإن هذه الجملة المليئةبالحسرة تعكس مايحسه فعلا ، فهو يتصور أن الشمس قد سطعت فجأة على مدينته ، فأضاءتها وبددت فيها اللون الأزرق إلى الأبد .

إنه يحس بالكارثة فعلا ، وذلك لأنه يجلس يرقب وقائع المباراة الساخنة بين المدينتين ، عقب أن استردت ثقتها بنفسها . وهاهم الناس مبتهجون وسعداء يرتدون أحس مالديهم وكأنهم فى مهرجان .

كانت الشاشة كلما صورت شخصا سعيدا ، وفرحا ، يردد فى داخل نفسه :

ـ آه . . سوف أريك . . إياك أن تفرح ! !

وكان كلما سمع شخصين من المدينتين المتنافستين يرددان أن الفوز حليفهما ، ردد بغيظ :

ـ بل سوف تخسرون جميعا . .

ووسط هذا الجو المتوتر فى مقصورة الشبح الأزرق ، لاحظ أتباعه أنه فى أشد حالات القلق ، وأنه لم يكن أبدا فى حياته مثلما هو الآن . اقترب منه تابعه « الداكن » وهمس قائلا :

ـ سيدى الشبح . هل ستسكت على هذه المهزلة ؟

وعلى الفور جاءت كلماته على الشاشة مجسدة : ياللمأساة . . . الناس سعيدة . . هل رأيت إلى أى حد بلغت المهزلة درجاتها؟ الناس سعيدة . وأنا موجود .

ثم انقطعت الكلمات كأنه يلتقط أنفاسه . وأكمل بعد قليل :

ـ إنهم لايعرفون أن الضحك يمزق أوصالى . . آه . . سوف أريهم . .

سأله تابعه « الداكن » :

ـ هل اقترح عليك شيئا نفعله . ؟

برقت عينا الشبح الزرقاوين ، والتفت إلى تابعه ، كأنه يستفسره عما يقصد ، ولم تكن مصادفة أن رأى عينيه تلمعان أيضا بشدة ، رغم الظلام الشديد الذى يسود المكان ، وكأن لديه فكرة جهنمية عليه تنفيذها .

(٣)

امتلأت مدينة « البرقوق الطازج » بكل مـاهو مبهر للزائرين من مـدينة « التفـاحة البنفسجيـة » فـالمترو الطائر يتحـرك بأسرع مـن الضوء . والمكـان بأكمله يبدو كـأنه مدينـة ملاهٍ ، أو كأنه هـدية ملفوفـة بشريط وردى جميل ، تنبعث فيـه زقزقات الطيـور ، وغناء الناس ، وتتلألأ الأضواء بعشرات الدرجات من الألوان . وتنبعث الموسيقـى الجميلة مـن مكبرات الأصـوات فى الشوارع . ولاتمتـزج الأصـوات ببعضها، ولا تسبـب أى تـداخـل ، وهناك شـاشـات عريضـة فى كل شارع ، يمكن للمـرء رؤيتها ومتابعـة مايحدث فى المدينة من ناحية ، ثم وقائع المباراة التـى ستبدأ بعد قليل من ناحية أخرى .

لم يكن للناس حديث سـوى عن المباراة ، واللاعبين ، وقوانين اللعبـة الجديدة التـى تغيرت فى اللحظـة الأخيرة ، ولا أحد يعـرف بنودها ، حتى تكون مفـاجأة للمتفرجين ، وربما للاعبين أنفسهم حيـث سيعـرفـونها فقـط ، وهـم يصـافحـون بعضهـم البعـض فى الملعب .

كـان أطرف مـاقى الأمـر هو أنـه ممنـوع المراهنـة بأى ثمـن على المباراة .

فطالما أن هناك رهانا فلاشك أن هناك رابحا وخاسرا . وسوف يعمل ذلك على خلق الضغائن بين الناس .

ولذا ، سرعان ماجاءت الإشارة إلى قسم الشرطة بأن المفتش «عادل» قد قبض على شابين سولت لهما نفساهما أن يدخلا فى رهان مالى على نتائج المباراة .

فجأة دقت الساعة السادسة . . وعم المدينة كلها صمت رهيب . .

. فمعنى أن الساعة تدق ست دقات ، أن على الناس أن يلتزموا الصمت . ثم بعد أن انتهت الدقات راح الناس جميعا يغنون النشيدين الوطنيين معا . فى الملعب ، والمنازل ، والشوارع ، والأماكن العامة والمفتوحة . حيث أنه لم يكن هناك أحد فى المنزل سوى غير القادرين صحيا .

وقفوا جميعا يغنون ، ويتكاتفون ، وقد امتزجوا معا . أبناء التفاحة والبرقوق معا . وكأنهم لايعرفون ماذا يمكن أن تخبئ الدقائق التالية .

(٤)

بعد أن انتهى الجميع من عزف النشيدين الوطنيين ، رأى الناس على الشاشة صورة لرجل عجوز يجلس بين الجماهير ، جاء



خصيصا مـن أجل مشاهدة المبـاراة . . ورغم أنه أول من شـاهده الناس على الشـاشة ، فـإنه كـان جالسـا بين الجاهير ، ولم يشأ أن يكون فى مقصورة كبار الزوار .

بدا الجميع سعيـدا بظهوره على الشاشة ، وخاصة أبنـاء مدينة الحكايـات الذين جلسـوا يتابعون افتتاح المبـاراة الساخنة فى قـاعة الحكمة التى يأتى إليها عادة كبـار أبطال الحكايات وأكثرهم شهرة من أجل التشاور .

أحس « حكيم » بـالسعادة وهو كبير أبناء مدينـة الحكايات ، وهو يـرى هذا التكـريم لابـن من أبنـاء الحكايـات ، فالتفـت إلى الجالسين حوله ، كأنه يردد :

ـ هل ترون ؟ . هذا واحد منا . .

بدا الجميع وكأنهـم يشعرون برضاء تام ، وسعادة بالغة . فهاهـم أبناء المدينة يلقون التكريم ، ويثبتـون يوما وراء يوم أنهم المناضلون الأوائل ضـد الشرور فى كـافـة أنحاء العـالم . وأنهم يسعـون دومـا لسيادة الخير والحق والعدل .

هنا تدخل سندباد قائلا :

ـ هذا شىء مبهج للقلب . .

وقبل أن ينتهى من جملته ، دخل شخص القاعة ، واقترب من

« حكيم » وراح يهمس له ببعض الكلمات . . لمعت عينا « حكيم» وبدا كأنه يسأل الرجل عن صحة ما جاء به من اخبار، فهز الرجل رأسه بالإيجاب ، زمّ شفتيه . . وأشار له أن ينصرف .

ورغم جاذبية العرض الذى يسبق المباراة ، والذى يمكن مشاهدته على الشاشة ، فإن أغلب الجالسين انتبهوا إلى زعيم المدينة الذى شرد قليلا ، أحاطوه بأعينهم ، وهنا سأل على بابا :

ـ ماذا حدث . . هل هناك امر جسيم . .

مط « حكيم » رأسه . وقال .

ـ إنه هو . . يغلى كلما شاهد الآخرين فى سعادة . .

تمتم الجميع فى عبارة واحدة :

ـ الشبح الأزرق . .

هز « حكيم » رأسه ، وقال : لقد دبر مؤامرة دنيئة فعلا هذه المرة . .

(٥)

جلست مجموعة من أبناء المدينتين فى منتدى عام ينظرون إلى الشاشة العريضة التى تعرض وقائع الحفل الذى يسبق المباراة الساخنة ، وهم يتبادلون بعض التعليقات من وقت لآخر . .

كان كل شىء مبهرا ، وكأن هذا الاستعراض معد خصيصا م

أبناء مدينة « البرقوق الطازج» للتأكيد على تفوقهم فى فنون العرض والإعلام ، وأنه لايمكن بالمرة لاى مدينة فى الدنيا أن تنقل وقائع مباراة بمثل هذا الشكل الإعجازى ، كان الناس يحسون كأنهم فى أرض الاستاد . وأنهم لاعبون يشتركون فى اللعب ، وكأنهم من الشباب الذى آدى مراسيم حفل الافتتاح بشكل إعجازى .

فجأة صاح شاب صغير ، وهو ينظر إلى الشاشة :

ـ ياه . . الإرسال يهتز . .

ود الجميع أن يردد نفس الجملة معا ، فقد بدأت بعض الخيوط البيضاء فى الظهور فجأة على الشاشة . . ثم اهتزت الصورة بشكل سريع . وتحولت الشاشة إلى كتلة باهتة تتحرك عليها الصور ، ولايمكن لأحد أن يحدد بالضبط ماذا يراه على هذه الشاشات . . هتف أحدهم :

ـ إنه الإرسال !!

كان الأمر غريبا حقا ، فكيف يمكن لمؤسسة تفخر بأن تقدم مثل هذا العرض أن تقع فى خطأ صغير أمام كل هذه الجماهير ، وفى حفل الافتتاح ، خاصة أن البعض قد تصور أن هذا أمر طارئ سرعان ما سيختفى ، وسيعود الإرسال مرة أخرى ، وعلى وجه السرعة .

لكن الأمر ازداد سوءا . وبدت الشاشة كأنها جهاز تلفاز مخصص لاستقبال قناة معينة عن طريق « الكابل » ثم انقطع الاتصال فجأة . فبدت أشباحًا هلامية ، لايمكن معرفة حدودها .

قال أحد الجالسين :

ـ لكن الصوت واضح . .

رد جاره : إذن فلابد أن يعود الإرسال .

رد ثالث : لكن خسارة أن يفوتنا الاستعراض . . والمبارا ستبدأ خلال دقائق . :

فجأة هتف صبى صغير ، وهو يشير إلى الحديقة : انظروا . ياللهول . .

وكان المنظر مثيرا للغاية . .

(٦)

بدت كأنه لم تكن هناك حديقة . حقا توجد مزروعات ، وأشجار ، وورد . . لكن ماذا هناك بالضبط ، إنها أشياء أشبه بأشباح تتحرك ، لايمكن تمييز شكلها ، ولا لونها . تبدو جميعا كأنها ذات درجة واحدة من اللون ، لا . بل لا لون لها بالمرة . . مسح البعض عيونه ، وراح يدقق من جديد فى المنظر أمامه . . هناك حديقة ، ولكنها أبعد ماتكون عن الحدائق ، التفتت البعض

الآخر إلى شـاشة العـرض العام ، فشـاهدوا الحال كما هـو ، مجرد صور شبحية ، لايمكن لأحد أن يتكهن بها تكون .

هنا نظر رجل إلى زوجته ، وصاح باستغراب شديد :

ـ ماذا حدث لردائك المزركش ؟ .

وقبل أن تلتفت المرأة إلى ردائها المزركش ، هالها شعر زوجها وقد فقد لونه الأسود ، وبدا كأنه صورة سلبية على شريط تصوير . لمع الرعب فى وجهها الـذى بدا كأنه شاشة تلفـاز قطاع خاص ، فقد اتصاله بمحطة الإرسال فجأة . .

وسرعان ماحل الرعب ، وسادت الدهشة المكان ، وراح الناس يلتفتون حـولهم ، وكأنهم يبحثـون عن شـيء ما حـدث ، أوضاع فجأة ، دون سـابق إنـذار ، تخيل البعـض أن حربـا جرثـومية قـد اندلعـت ، وأن أحدا لم يعد يستطيـع أن يرى الأشيـاء بشكل محدد فيما حولـه ، أما البعـض الآخر ، فقـد تصور بـأن مرضـا مفاجئـا أصـاب العيون . فجعلهـا غير قادرة على الـرؤية جيـدا ، أو على التمييز بين الأشياء .

وامتلأ المكان بـالهمهمات والتساؤلات التى مالبثـت أن انتقلت من أمـاكن أخرى عديـدة فى مدينة « البرقوق الطـازج » ، لم يستطع أحد أن يحدد ماذا حدث بالضبط حتى تلك اللحظة .

وفى الملعب بلغت المأساة قمتها .

فقد كـان الملعب سـاحة خصبـة لكل مـاهو مبهـر ، ومثير ، حيث ارتفعـت البالونـات العملاقة من كـل الأنحاء ، تمثل كـافة الشركات والمؤسسـات التى تعلن عـن أحدث منتجـاتها ، وأيضا التـى تحمـل الكثير مـن عبـارات التـأييـد للفـريقين المتبـاريين . وانطلقت مـن المناطيـد المزركشة الألـوان ، والطائرات المروحيـة ، والدراجات الطائرة أصوات الموسيقى والغنـاء ، الممزوجة بأصوات المشجعين فى مقاعد الملعب . .

ووسط هـذا الجو الصاخب . بدا كـأن شيئا ما قـد انطفأ . أو كأن نورا ما قد خبا واختفى لونه .

(٧)

ترى ماذا حدث حقيقة فى مدينة « البرقوق الطازج » ؟

لم يستطع أحد أن يفهم ماذا حدث بالضبط . خاصة فى مدينة الحكايـات التى اجتمـع أبناؤها كـى يشاهـدوا وقائع تلـك المباراة المنتظرة المثيرة . فقد بدت الشاشـة فجأة ، وكأنها فقدت رونقها . وسرعان مـا نقل التلفاز وقائع ذلـك الصخب الذى سـاد المدينة . وعلى وجه السرعة ، هنا وقف « حكيم » وردد :

ـ إنها مؤمراة بلاشك . . إنه «الشبح الأزرق» مجددا .

أصاب الذهول جميع الجالسين فى القاعة الكبرى ، ولم يستطع أحد أن يفهم ماذا حدث بالضبط ، خاصة أن الشاشة المشوشة الإرسال لم يمكنها نقل الصور بكل وضوح .

تساءلت أم الغولة :

— إنه الإرسال بالتأكيد . .

رد جحا : لعل قنبلة انفجرت .

سرعان ما تدخلت أم الغولة ، قائلة : صه . . فأل الله ولافألك .

صاح عنترة : إنه غبار فضائى . .

رفع « حكيم » يده ، فسكت الجميع ، وبدا كأنه يستعد للكلام ، نظر إلى الشاشة ، ثم إلى رجال الحكايات ، وقال :

ـ على كل ، سرعان ماستصل الأخبار . . لكن اعتقد أن الأمر جسيم فعلا ، ونحن لدينا مواطن من مدينة الحكايات موجود الآن فى المدينة . . يجب أن نساعده إذا حدث شىء خطير .

فجأة ، صاح علاء الدين : انتبهوا . .

وسرعان ماظهر على الشاشة مذيع ، كأنه يستعد لإذاعة بيان هام ، بدا وجهه شبحيا لايمكن التعرف على ملامحه بالمرة ، وجاء صوته عبر جهاز التلفاز، وهو يقول :

ـ أيها السادة ، جاءنا النبأ التالى :

« قرر مجلس إدارة المدينة سرعة غلق أبوابها ، وإعلان حالة الطوارئ القصوى وممنوع دخول المدينة أو الخروج منها ، حتى إشعار آخر . »

هنا هتف « حكيم » :

ـ ياإلهى . . إذن فالعجوز فى خطر . .

(٨)

وأغلقت المدينة أبوابها ، وصدر قرار بحظر التجوال ابتداء من ساعته ، وكان على أبناء المدينة ان يسرعوا بالعودة إلى ديارهم ، ووسط جلبة لامثيل لها ، اندفع الناس نحو وسائل المواصلات ، ونحو سياراتهم الخاصة ، ووسائل ركوبهم التى اعتادوها ، لكن الاضطراب الشديد الذى ساد المدينة ارتفعت حدته . . فوسط هذا الجو الغريب ، لم يعد أحد يعرف أين توجد سيارته ، بل ولا من يكون الشخص الذى يجرى أمامه ، أو إلى جانبه ، حتى أبناء الأسرة الواحدة ، بدوا كأنهم لايعرفون بعضهم البعض ، بعد أن تاهوا فى الزحام ، وكان يمكن لأب أن يسمع صوت ابنه يناديه فلا يعرف أين هو ، ولا هل هو أم لا ، إلا من خلال نبرات صوته .

وارتفعت حدة التخبط ، كأنه يوم الحشر العظيم . .

ولولا ستر الله ، وبفضل السلوك المتحضر الذى يسلكه أبناء المدينة لزادت الكوارث ، حيث انطلقت أصوات المكبرات بأن على الجميع التزام الهدوء . أو الالتزام بأماكنهم ، وسوف تتدبر الأمور بأسرع مايمكن .

لكن الخطر زاد من جديد ، عندما أحس الناس أن هناك تخبطا واضحا فى قرارات الإدارة العليا للمدينة . وسرعان ماسرت الأنباء أن ماحدث ليس سوى مؤامرة دبرها الأعداء ، من أجل إفساد المباراة ، والتى كان من المؤكد أن المدينة ستفوز بها فوزا ساحقا .

وأحس الناس أن هناك اتهاما من الإدارة العليا للمدينة ، لمدينة « التفاحة البنفسجية » ، ولاشك أنها صاحبة المصلحة الأولى فى ماحدث ، خاصة أن المؤشرات تدل أن فريق «البرقوق الطازج» قد أعد خطة سرية للفوز، فى المباراة ، فوزا أكيدا .

وبدا الاتهام واضحا فى قرار إغلاق أبواب المدينة ، على القادمين منها ، والخارجين عنها ، وخاصة أنه يوجد الآن فى داخلها قرابة مليونين ونصف مليون زائر ، جاءوا من أجل المباراة ، ولمؤازرة فريقهم . لذا بدا قرار إغلاق المدينة ، كأنه بمثابة اتخاذ أبناء مدينة التفاحة البنفسجية كرهائن ، حتى يتم حسم المواجهة المنتظرة بين« المدينتين ، وبأى ثمن» ، فالأمر لايمكن السكوت

عليـه . خاصـة ، أنه حتـى الآن ، لا أحـد يعرف بـالضبط مـاذا حدث فى المدينة ؟

(٩)

ــ من المؤكـد أنه قـد ضاع شـىء ثمين فى هذه المدينـة . . إنها الألوان ! !

هكذا تمتـم العجوز، وهـو يحاول مقاومـة كافـة الأجساد التـى حاولت أن تدهسه وهـى تسعى لأن تجد لنفسها منفذا ، خشية أن ماحدث يكـون بداية لمخاطـر لايعرف سوى الله عواقبهـا ، ووسط حيرة أصابتـه ، راح ينظر حولـه ، فلم يستطع أن يحدد مـاذا جرى بالضبط ، دعك عينيه ، وقال فى بداية الأمر :

ـ لاشك أننى أصبحت فعلا شيخا عجوزا . .

لكنه عرف أن نفس الشىء حدث لجميـع من حوله ، وسرعان ماتكهن أن الخطـر الحقيقى يعنى أن الألوان اختفـت من المدينة . كل الألـوان ومشتقاتها ، ولـذا سرعان مـافقدت الأشيـاء هويتهـا الخارجيــة ، الاشجـار ، والأمــاكـن العــامـة، والمزروعــات ، والطائرات، فلم يعد بامكـان أحد أن يرى الأشياء على حقيقتها ، لأنها بشكلها الجديد قد فقدت كل سماتها المعروفة عنها .

الآن ، أصبح المكان شبه خاو ، وهاهو العجـوز ، جالس فى

مقعده ، يتأمل الاستاد حوله ، فلايمكنه أن يميز بين الأشياء بسهولة ، لكن صمتا رهيبا ، يعلو المكان الذى كان صاخبا قبل قليل . ومليئا بالحياة ، إنه الآن يشكو الصمت والسكون . وأمكن للعجوز أن يتدبر مايمكن أن يحدث ، وسرعان مافهم أن ماحدث هو أن الألوان اختفت فجأة من المدينة .

قام من مكانه ، وتمتم من جديد :

ـ يجب أن أذهب إلى مدينة الحكايات . فالموضوع خطير حقا .

ولكنه تذكر أن المدينة أغلقت أبوابها ، وأنه ممنوع على أحد مغادرتها ، حتى إشعار آخر . وفجأة سمع صوت سيارة يقترب ، فالتفت حول ، ورأى سيارة لم يستطع بالطبع أن يحدد شكلها ، راحت تقترب منه ، ثم نزل منها أربعة رجال اتضح أنهم من قوات العمليات الخاصة ، كانوا يرتدون على أعينهم نظارات غريبة الشكل ، ويحملون بين أيديهم أسلحة فتاكة ، راحوا يشهرونها فى وجهه ، وقال أحدهم :

ـ أيها العجوز . أنت مقبوض عليك .

ولم يشأ أن يبدى اعتراضا واحدا . .

(١٠)

لم يستطع العجوز أن يميز تلك النظارات الغريبة التى كان

يرتديها رجال العمليات الخاصة ، إلى أن دخل مكتبا فى مبنى الإدارة العليا . وهنـاك كان عليه أن يـواجه أشخاصـا لايستطيع أن يحدد ملامحهـم تماما ، إلا أنهم يستطيعون رؤيته بكافة ألوانه ، وذلك تبعا للنظارات التى يرتدونها . . إنهم فريق الألوان الصناعية . أو المهام الصعبـة ، مثلما أطلقـت عليهـم التسمية . وكـان عليهـم سرعـة التدخل . .

قال أحد الرجال ، وقد بدا كأنه رئيس المجموعة :

ـ يؤسفنا أن نبلغك أن وجودك الآن معنا غير مرغوب فيه . .

مط شفتيه مندهشا ، وقال : أليست أبواب المدينة مغلقة ؟

رد نفس الرجل : سوف نفتحها مـن أجلك فقط . وذلك كى تقـوم بتسليـم رسـالـة مجلس إدارة المدينـة إلى مـدينـة « التفـاحـة البنفسجية » . .

فهم أن امامه مهمة محددة ، عليه أن يقوم بها ، وهى أن يسلم لمدينة «التفـاحة البنفسجيـة» رسالة سريـة ، ليس عليـه أن يعرف كنهها بالمرة . تساءل

ـ ولماذا تم اختيارى ؟

وسرعان ماجـاء الرد : لأنك سبق أن أنقذت المدينة مـن كارثة محققة . . ثم . .

وسكت الرجل قليلا ، قبل أن يكمـل : ولأن هناك نية لتوجيه الاتهام لك بأنك وراء الأحداث الأخيرة . .

بدت كلمات غـريبة ، وقـاسية ، حـاول العجوز أن يبتسـم ، فلاشك أن مايقوله هذا الرجل لا أساس له من الصحة ، لكنه راح يردد فى داخلـه ، بأن هذه الادعاءات ، بـلاشك ، مرتبطة بـالحالة التى أصابت المدينة بالفوضى ، والضياع ، حاول العجوز أن يبدو بشوشا ، وقال بكل هدوء ، وهو يسحب نفسه خارجا من الغرفة :

ـ أنـا مستعد للوقوف إلى جـانب أبناء «البرقـوق الطازج» . فلى فيهم أصدقاء وذلك مثلما فعلت مع مدينة «التفاحة البنفسجية » .

كان قد مـد يده واختطف الرسـالة ، وقبل أن يخرج من الغـرفة التفت إلى ضابط الألوان الصناعية وقال :

ـ إن حال مدينتكم اليوم أشبه بمدينة التفاحة البنفسجية يوم أن ضاع منها الطموح .

رد الضابط ، وكأنه يوجه إليه إنذارا :

ـ أخبرهـم ، أننا ربما نحاربهم ، فلدينا أسرى كثيرون منهم .

(١١)

وعند أبـواب المدينة ، سمـع صوتـا مألـوفا ينـاديه . . التفـت

إليها ، لم يتبين ملامحها ، لكنه تبين صوتها ، كانت ترتدى عوينات الألوان الصناعية . . وقفت أمامه تودعه . وهى تقول :

ـ نحن فى مأساة . . فلا تتخل عنا . .

بدت كأنها قد نجحت فى أن تنتظره هناك ، أو لعل السلطات قد جاءت بها ووضعت نظارة الألوان الصناعية على عينيها . إنها عائشة ، التى رأت العجوز يهز رأسه بأسى ، وقال :

ـ لايمكن طبعا أن أقف عاجزا أمام هذا الموقف .

وراح يربت على يديها ، قبل أن يغادر المكان . وما إن تجاوز بوابة السور ، حتى رأى كل شىء واضحا ، هاله المنظر ، بدا كأن ضريرا استرد بصره . . وراح يغمض عينيه أكثر من مرة ثم يعيد فتحهما . وهو يرى لون السماء الأزرق والرمال الصفراء وشيئا ما أحمر فى الأفق ، صاح مندهشا :

ـ يا إلهى . . هذه هى الألوان الأساسية الثلاثة . .

ثم راح ينفض عن نفسه غبار المدينة التى ضاعت.منها الألوان فتساقط فوق الأرض ، وبدأ يميز ملامح يده ورأى لون جلده الأسمر وهتف لنفسه :

ـ فعلا . إنهم فى مأساة . . يجب أن أحاول مساعدتهم .

أحس كأن مرض عمى الألوان قد أصاب المدينة ، بل ماهو

أشد ، فإذا كان المصاب بهذا المرض لايمكنه أن يميز بين الألوان وبعضها خاصة فى الليل ، فإن مدينة «البرقوق الطازج» قد ضاعت منها كل الألوان . . كانت أمامه مهمتان . أن يذهب إلى مدينة «التفاحة الزرقاء» حيث يسود غضب عام بسبب إغلاق أبواب مدينة «البرقوق الطازج» على مليونين ونصف مليون شخص من أبناء مدينتهم وحتى إشعار آخر .

وأحس أيضا أن عليه أن يذهب إلى مكان بعيد من أجل أن يفعل شيئا مهما . . إلى مدينة الحكايات . .

(١٢)

واتجه إلى مدينة «التفاحة البنفسجية» . .

كان الغضب عارما وشديدا ، واصوات الغضب عالية ، من أجل إعلان حالة الحرب الغير منتظرة . حرب ، وياها من حرب ستكون ، فمن المعروف أن أى مواجهة بين المدينتين معناها حلول الخراب على الجميع ، فلن يكون هناك منتصر أو منهزم . بل سيخسر الجميع أراضيهم . والرابح الوحيد سيكون شخصا مثل «الشبح الأزرق» .

لذا كان استقبال العجوز ممزوجاً بالصخب والغضب فى

المدينة . . وبدا كأن الناس سرعان مانسوا موقفه معهم أيام المحنة الشديدة التى أصابت المدينة .

وكان الاجتماع مليئا بالتوتر فى قاعة الاجتماعات الكبرى المظلمة فى المدينة ، لقد دأب أعضاء مجلس إدارة المدينة ان يلتقوا فى مكان مظلم عندما يعقدون اجتماعاتهم الطارئة حتى لايتعرف أى مواطن على زميله ، فإذا قابله فى الشارع بدا كأنه يعرفه جيدا . وراحت هالة سوداء تحط على الوجوه . بينما جلس العجوز وسط القاعة الدائرية كأنه متهم عليه أن يواجه الجميع بآرائه ويدافع عن نفسه .

ودار حوار طويل . حاول فيه العجوز أن يتحلى بالهدوء . . بينما عبرت أصوات بعض اعضاءمجلس إدارة المدينة عن غضب شديد . فكيف يسول لأبناء مدينة «البرقوق الطازج» أن يعتقدوا أنهم وراء ماحدث أخيرا . . بل وكيف جرءوا أن يغلقوا أبواب مدينتهم على زوارهم من المشجعين .

بدا الاجتماع كأنه لن ينتهى . . إلى أن قام العجوز ورفع يده قائلا :

ـ اسمعوا . . لقد بلغّت رسالتى . . فهل تركتم لى فرصة التصرف . . ثلاثة أيام لا أكثر ؟ .

رانت لحظة صمت ، بدا الجميع كأنهم يفكرون فيا قاله أو

كأنهم قد وجدوا ضالتهم المنشودة فيما قالوا ، فهم قوم سلام وليسوا أبدا براغبين فى إعلان الحرب . وهم يعرفون أن الحروب ليست من خصال الدول المتحضرة أبدا . لذا رفع رئيس مجلس المدينة يده وقال بلهجة حازمة تبدو فيها بعض ملامح التردد :

ـ ثلاثة أيام، لا أكثر . . هه . . ؟

مط العجوز شفتيه محاولا أن يبتسم، وقال :

ـ على بركة الله . . لكن لى طلبا واحدا فقط ؟

(١٣)

وفى «مدينة الحكايات» ، كان اللقاء سريعا . لقد جاء إلى هناك من أجل أن يأخذ المشورة ، ويحاول البحث عن الطريق .

بدا اللقاء مليئا بالمودة والمحبة، خاصة أن جميع أبناء المدينة يشعرون بالتعاطف الشديد معه فيما هو مقبل عليه ، فلاشك أن هذه هى المرة الأولى فى تاريخ الحكايات التى تختفى فيها الألوان جميعها من مدينة بأكملها . قال عنترة غاضبا :

ـ الحل الوحيد أن نذهب إلى «المدينة الزرقاء» ونتخلص من «الشبح الأزرق» وأعوانه .

ابتسم « حكيم » وقال :

ـ وهكذا تنتهى الحكايات . . يجب فقط أن نواجه شره بالخير . وبلغة الإقناع .

راح عنترة ، يتنهد . كأن « حكيم » قد أطلق رشاشا باردا على غضبه الساخن ، وعلت الوجوه حيرة واضحة . فلا يمكن الموافقة على اقتراح أن يقوم أحد بمساعدة العجوز فى مهمته . لذا قال :

ـ سوف أذهب وحدى . . وسأصحب بعضا من أبناء المدينتين مثلما حدث من قبل . . حتى يحسوا بأن الأشياء تأتى بسهولة وفجأة ، مثلما ذهبت واختفت .

ثم سكت ، وقام من مكانه وقال :

ـ امامى مهمة صعبة والوقت ضيق ، ليس أكثر من ثلاثة أيام .

نظر إليه « حكيم » بكل مودة ثم قال :

ـ أيها العجوز كم أنا معجب بكل . . لذا قررت أن أهديك شيئا . لعله يفيدك فى رحلتك .

رآه العجوز يمد له بمرآة متوسطة الحجم ، دائرية الشكل . تمتم وهو يسلمها له :

ـ خذ هذه . . أنا واثق أنها ستفيدك فى رحلتك الجديدة .

نظر العجوز إلى المرآة ، رأى وجهه الذى بدا كأنه نسيه ، وراح يتفرس فى تقاطيعه وهو يتذكر كيف كان هذا الوجه يوم أن كان فى مدينة البرقوق الطازج . قال مداعبا :

ـ فعلا . إنها مفيدة . . سأتذكر بها وجهى كلما نسيته .

قال « حكيم » :

ـ إنها مرآة مختلفة . . فهى تخزن الذاكرة . .

(١٤)

كان العجوز قد طلب من مجلس إدارة مدينة «التفاحة البنفسجية» أن يمدوه باثنين من أبرز الفنانين فى مجال الفن التشكيلى . . ولذا فعندما عاد ثانية إلى هناك التقى لأول مرة بكل من مروة وشادى .

كان اللقاء مليئا بالمودة . . قالت مروة :

ـ كم أنا سعيدة أن أكون معك . يسمووننى هنا عاشقة الألوان السبعة . .

ابتسم العجوز وقال :

ـ ولكن الألوان ثلاثة كما أعرف . .

ردت : الألوان الأساسية ثلاثة . ونشتق منها بقية الألوان . . ولذا فإن الألوان التى نراها فى قوس قزح عددها سبعة .

سأل العجوز : أراك صغيرة فى السن . وأحس ان الرحلة التى أنوى القيام بها ستكون صعبة بل بالغة الصعوبة .

هزت مروة رأسها وقالت : لاشىء صعب على الفنان الذى يعشق فنه . لقد أصابتنى صدمة عندما سمعت عما حدث فى مدينة « البرقوق الطازج» .

تدخل شادى : لقد قررنا أن نساعدهم من خلال الألوان الصناعية .

كان من الواضح أنه يتكلم عن سكان مدينة «البرقوق الطازج» . . رد العجوز :

ـ لقد فقدوا كل شىء . الألوان الطبيعية والصناعية .. عدا فريق الألوان الذى عليه أن يضبط الزمن فى المدينة .

سأل شادى : ماذا تعتقد أن علينا أن نفعل . ؟

راح العجوز يفكر، ثم قال :

ـ سوف نذهب إلى ينابيع الألوان الثلاثة . .

سألت مروة : وأين تكون ؟

شرد قليلا قبل أن يقول :

ـ إنها بعيدة . . ربما أبعد مما يتصور أى إنسان . .

كان من الواضح أن العجوز يحاول أن يثير التردد فى قلبى كل من مروة وشادى اللذين كما عرف لايتصوران أبدا أن الحياة يمكن أن تستمر بدون ألوان .

(١٥)

سرعان ماظهر على الشاشة مارردده « الشبح الأزرق» :

ـ إنه يود المغامرة من جديد . . هذا العجوز الأشيب . .

بـدا قلقا ، وفى مـلامح وجهـه انعكست مشـاعر الغضـب ، فهاهو قد عرف أن العجوز يستعد مجددا من أجل القيام بمغامرة ، وأنه سـوف يحاول الوصـول بأى ثمـن إلى ينابيـع الألوان الثـلاثة : الأحمر ، الأزرق ، الأصفـر ، وأنـه لـو أمكنـه أن يفعـل ذلـك ، فسوف ينجح فعلا فى استعادة الألوان إلى مدينة « البرقوق الطازج» وهو ، بذلك سيكون قد عمل على إفشال مخططه الجهنمى .

بدت الكلمات بارزة على الشاشة :

ـ أبدا . لن ترى المدينة ألوانا بعد الآن . . أى لون . .

نظر أتباعه إلى بعضهم البعض . وهمس أحدهم فى أذن الآخر:

ـ الرحلـة صعبة ، ولايمكن لأحد أن يصل إليهـا ، مهما كانت قوته ، حتى الفارس النادر نفسه .

رد زميلـه : ولذا فـالشبح الأزرق يفكـر فى أن يضـع العراقيـل الحقيقية كى يمنع وصوله إلى هناك .

نظر الشبح إلى أعوانه وأحـس أنهم منشغلون عنه ، وسرعان ما اصطكت جـوانب الشاشـة الاليكترونية التى تظهـر عليها كلمات



«الشبح الأزرق» كلما تكلم . وجاءت كلماته الجديدة :

ـ سوف نفجر ينابيع الألوان . . كل الينابيع . .

تمتـم المساعـد الأول : ياه . . إنـه أمـر خطير . . حتى اللـون الأزرق .

أصاب الصمم المكان ، وبدا الشبح الأزرق كأنه يفكر فى الأمر بجدية ثم جاءت كلماته الغاضبة :

ـ حتى اللون الأزرق .

سأل مساعده « الداكن » : لكن . . هذا . .

بدا مترددا ، خائفـا ، ووجلا ، فهو لايريـد إغضاب زعيـمه . وهو يعرف أن تدمير الينابيع الزرقاء سوف ينعكس حتما على المدينة الزرقـاء ، التى يعيشون فيها ، والتـى لم تعرف يوما أى لـون آخر ، ولاشك أنـه باختفـاء اللون الأزرق سـوف تدخـل اشعة الشمـس وتنتهى المدينة إلى الأبد . ومن جديد ، قال « الشبح الأزرق» كلماته التى انعكست على الشاشة :

ـ سوف أدمر كل الألوان . . وأولها اللون الأزرق . .

(١٦)

خـرج الثلاثـة فى الليل مـن المدينـة ، وفى سرية تـامة ، حتـى

لايكون خروجهم سببا فى إثارة أى غضب من الناس . فلاشك أن لكل أسرة فردا موجودا الآن رهينة فى مدينة «البرقوق الطازج »، ورغم مايلقاه العجوز من احترام وتقدير فى مدينة «التفاحة البنفسجية» فإن الناس لايمكنها أن تنسى أنه فى لحظة واحدة ، انغلقت أبواب مدينة « البرقوق الطازج» دون أن يعرف أحد متى ستقع مرة أخرى أمام الناس .

ورغم أن بعض الأخبار تسربت إلى الناس بأن هناك محاولة للتفاهم مع مدينة « البرقوق الطازج» فإن أقاويل كثيرة كانت تؤكد أن الألوان لن تعود أبدا إلى المدينة وأن الأبواب لن تفتح إلا كى يخرج منها المحاربون الأشباح ليقاتلوا وقد فقدوا أغلى شىء لديهم . .

وعند بوابة المدينة ، وقف العجوز ومعه مروة وشادى . وقد استعدوا للسفر إلى مجهول حقيقى لايعرفونه ، فلا أحد يدرى أين توجد ينابيع الألوان . ورغم ذلك فإن العجوز راح يفكر فى شىء آخر ، فكر فى أن عليه العودة بالضبط خلال ثلاثة أيام . ليس فقط قبل أن تندلع الحرب الضارية بين المدينتين اللتين تورطتا فجأة فى صراع محموم، ولكن لسبب آخر تماما ، راح يعبر عنه وهو يقول لمروة وشادى :

ـ تقول الأرصاد الجوية إن السماء ستمطر بشدة فوق مدينة البرقوق الطازج فى اليوم الثالث من الآن . .

وسرعان ما أدركت مروة ماذا يقصد العجوز ، بهذه الكلمات فقالت :

ـ آه . . هل تقصد قوس قزح . ؟

هز العجوز رأسه ولم ينطق بكلمة . كان يحمل مخلاه التى يستعين بها فى مثل هذه المغامرات ، والتى تضم الكثير من الأدوات والمعدات التى تساعد أثناء الرحيل ، خاصبة تلك المرآة الذاكرة التى قدمها له « حكيم» ، مؤكدا أنها سوف تفيده . .

قال العجوز :

ـ أول شىء هو أن نتحول إلى مخلوقات شفافة بلا لون كى نختفى ولايرانا أحد . .

سأل شادى : لكن كيف يمكن أن نفعل ذلك . ؟

فجأة سمع الجميع صوتا غريبا ينطلق وسط الظلام ، ويسأل :

ـ ولماذا تختفون . . بل ولماذا ترحلون ؟

(١٧)

هتف العجوز :



ـ من ؟ عائشة ! !

اقتربت عـائشة فى الظلام مـن العجوز ، وراحت تصـافحه ، وهى تسمعه يقول :

ـ كنت أعرف أنك لن تتأخرى عن الحضور معنا .

أشـارت إلى زميلها الذى ظهر وسط الظلام وقالت :

ـ وأيضا مصطفى . . لقد جاء لينضم إلينا . .

وراح الجميع يتبادلون التحيات . قال مصطفى :

ـ أعرف أن هـذه الرحلات تحمل الكثير من المخـاطر . . لكن لايمكن أن نتأخر . . فالأمر جد خطير .

سأل العجوز ، موجها كلامه لكل من مصطفى وعائشة :

ـ هل هربتما ؟

ردت عـائشة بكـل ثقـة : لا ، بـالطبع ، ولكننـا طلبنـا الإذن بـالخروج مـن رئيـس مجلـس الإدارة . ولم يتردد . إنـه رجـل يحب السلام . . ورافقنا حتى خرجنا من المدينـة وطلب منا أن نرسل لك التحية . .

سكتـت عائشـة قليـلا ، ثم وجهـت كـلامها إلى مصطفـى ، وقالت :

ـ أخبرهـم ، كيـف كان حالنا ، ونحن نـرى اللون الأسود لأول

مرة ، خارج المدينة . .

تدخلت مروة :

ـ لكن الأسود ليس لونا . . إنه يتركب من كافة الألوان . .

قال شادى : أى إنه تداخل لكل الألوان .

هزت عائشة رأسها يمينا ويسارا ، وقالت :

ـ حتى الأسود ، أصبحنا محرومين منه فى المدينة ، لا ليل ، ولا نهار . لاتصدق أى فرحة شعرت بها وأنا أرى اللون فى الليل . . وزاد إصرارنا أن نستعيد الألوان بأى ثمن . . بأى ثمن . .

بدا صوتها شجيا . ومليئا بالأسى ، والشجن ، وترك أثره فى كل الذين وقفوا فى الظلام يستعدون للمغامرة ، وراح كل منهم يمسك بيد الآخر ، وكأنهم يغنون معا لذلك المجهول الذى ينتظرهم ، والذى هم مقبلون عليه .

(١٨)

كان الأمر كأنه المجهول فعلا ، خاصة بالنسبة للعجوز ، فهو فى بداية الرحلة لايعرف إلى أين يذهب ، ولا ماهو الطريق الصحيح . ورغم أنه ترك للزملاء الجدد الفرصة للتعرف على بعضهم البعض ، فإنه حاول أن يفكر . فلاشك أن أغلب الأشيا ـ

التى فى مخلاه البيضاء لايمكن أن ترشده إلى الطريق .

وفجأة ، قرر أن يسير فى الصحراء المترامية أمامه على غير هدى ، رغم أن الليل يفرد أستاره ، فإنه لم يعرف إلى أى جهة عليه أن يتوجه ، وراح يردد :

ـ الصحراء دائما وراءها صحراء أخرى . وخاصة هنا . ويمكننا أن نضيع ، مهما كان معنا من أجهزة رصد . .

راح يستمع إلى أصوات الزملاء الأربعة ، وكأنه يحس بالندم ، لأنه سوف يورطهم معه فى مغامرة غير مأمونة . . ثم قرر أن يقطع ذلك التردد والقلق ، بأن قال :

ـ هيا ياشباب . . إلى الطريق الآن . .

وأحس الشباب أن عليهم أن يبدءوا المغامرة . تساءلت عائشة :

ـ هل سنصبح شفافين فعلا ؟

وتذكر أنه كان قد قرر أن يجعل كلا منهم يدهن نفسه باللون الشفاف ، حتى يسهل اختفاؤه فى الصحراء من كل الحيوانات المتوحشة التى يمكنها أن تظهر . . هنا قال :

ـ ربما . . لكننا سنركب البساط الالكترونى . .

سألت مروة : إلى أين . . ؟

رد العجوز : إلى الينبوع الأول . . ينبوع اللون الأزرق . .

سأل شادى : أين هو ؟

تلعثم وهو يقول : إنه هناك . . سوف نراه من فوقالبساط الالكترونى . .

ورغم أن الزملاء قد صدقوه ، فإنه لم يكن واثقا فى ذلك . كان عليه فقط أن يغادر تلك المنطقة بأى ثمن ، وأن ينطلق ، مجرد أن يبدأ وينطلق .

ثم راح يمد يده إلى مخلاه البيضاء كى يخرج السجادة الطائرة . . ووسط الظلام رأى الجميع شيئا يلمع ، افترشه العجوز فوق الأرض . . وسمعوه يقول :

ـ هيا بنا ، سنطير فى الجو خلال ثوان قليلة . .

وفجأة سمعوا صوتا غريبا من أعلاهم ، كأن طائرا ضخما يحاول أن يحط فوق الأرض ، راح يرفرف بجناحيه القويين . وهو يحرك الرياح من أسفله مما يؤكد على مدى مايتمتع به من ضخامة . هتفت مروة :

ـ يا إلهى . . ماهذا ؟

(١٩)

سرعان ماجاء صوت من أعلى قليلا ، يردد بلكنة حزينة ، تثير الإشفاق :

ـ السلام عليكم . . لاتقلقوا ، فأنا رخاو بن رخاو بن رخاو . .

بدا الأمـر غريبا ، وشـاهدوا شبحا ضخما يحاول أن يسـد الليل بجناحيه القـويين ، المتعددى الألوان بشكل يلفـت النظر ، حتى فى حلكة الليل الشديدة ، صاحت عائشة :

ـ إنه طائر . . يتكلـم . .

جـاء صوت الطـائر يقول : أنـا لسـت طائرا . . بـل أنا الـرخ المعدل .

بدا الاسم غريبا ، الرخ المعدل . . ترى ماذا يكون حقا ؟ وقبل أن تنطلق التساؤلات مـن الزملاء ، ظهرت بقعة مـن الضوء أسفل الـرخ المعدل ، مـالبثت أن انتشرت مـن حولـه فظهر بشكـل جلى وواضـح . . يالـه مـن منظر مثير ، فهـو عبارة عـن مجمـوعة مـن المكونات المألوفة ممزوجة معا . فوجهه وصدره يبدوان كأنهما لإنسان فتى ، بالغ القـوة والشباب ، أما جناحاه القويـان فإنهما موجودان أسفل ظهره ، يـرفرفان كأنهما يستعـدان للطيران فى أى لحظة ، أما قدماه فأشبه بقدمى كتكوت ضخم ، مليئين بالزغب . قال :

ـ كما ترون . فلست بشرا ، ولست طائرا ، ولذا أفضل أن يكون أسمى الرخ المعدل . .

سأل العجوز :

ـ وأين بلادك يارخاو . . ؟

هز رخاو رأسه فى أسى ، وقال :

ـ ربما لن يعود لنا بلاد بعد اليوم .

سألت مروة : ماذا تقصد . . ؟

بنفس اللهجة الحزينة تمتم : إنهم الجنود الزرق . . كادوا أن يدمروا بلادنا . .

بدا رخاو كأنه ينطق بكلمات غامضة مبهمة ، فمن يكون الجنود الزرق ؟ . . لم يفهم أحد ماذا يقصد الرخ المعدل سوى العجوز ، الذى قال :

ـ هل هاجموا مدينتكم . . واين هم ؟

أحس العجوز ان هناك شيئا ما بالغ الأهمية سيكون فى إجابة الرخ المعدل . .

(٢٠)

وانطلقت جيوش المدينة الزرقاء نحو هدفها الذى جاءت من

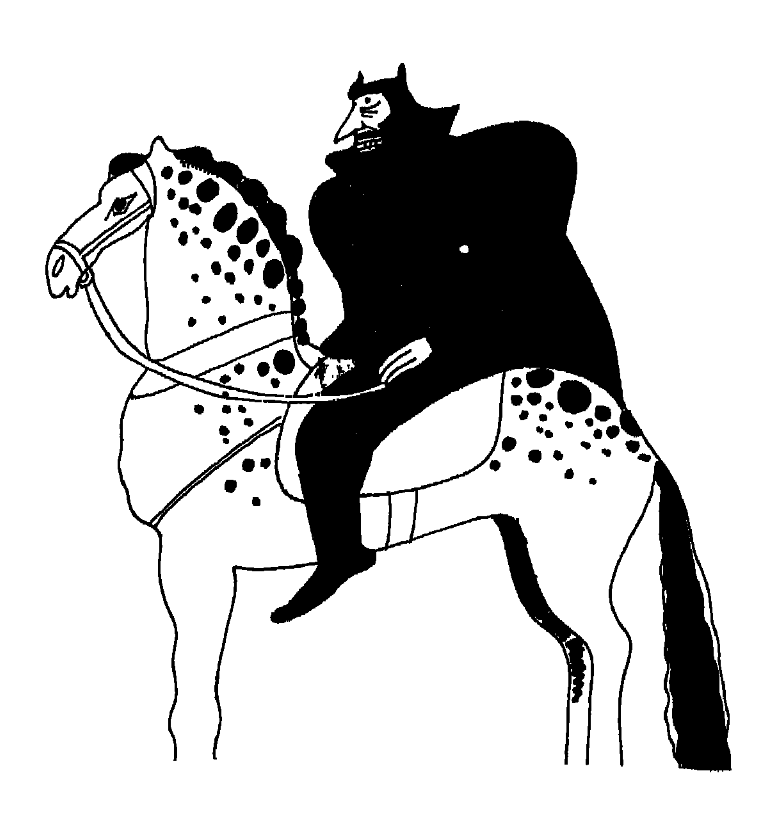
أجله ، تدمر كل شيء أمامها . إنهم ذاهبون إلى مهمة انتحارية ، وأنهم سواء عادوا منها سالمين أم مهزومين ، فسوف تكون هذه نهايتهم . لأن عليهم أن يدمروا كافة الينابيع الزرقاء . حسبما جاءتهم الأوامر .

ولأن عليهم ألا يناقشوا ، فقد اندفعوا فوق جيادهم الشبحية إلى بقعة الينابيع الزرقاء من أجل تدميرها . قبل أن يتمكن أى شخص من الوصول إليها ، ولاشك أن هذا سوف يجفف كل الألوان الزرقاء فى العالم ، والتى عليها أن تنمحى مع الزمن ، من كل بقاع الأرض .

وانطلق الجنود إلى بقعة الينا بيع الزرقاء ، ولديهم خطة محددة ، هى زراعة الألغام حول الينابيع ، حتى إذا اقترب منها أى شخص ، انفجرت ، وتحول المكان كله إلى كتلة من الدمار الذى لا مثيل له .

وراح الجنود يفسدون فى كل الأماكن التى يمرون بها ، غير آبهين بالآثار التى يتركونها وراءهم . حتى فوجئوا أنهم قد دخلوا بلاد الرخ المعدل .

لم يكن فى بلاد الرخ المعدل سوى مجموعة قليلة من آخر سلالة هذا المخلوق الفنطازى النادر ، الذى بدأ ينددثر فى الفترة الأخيرة



بعد أن أصبح عليه التأقلم مع التغيرات المناخية التى شهدها العالم فى الآونة الأخيرة .

وأمام هذه الظروف القاسية التى أحس بها أبناء بلاد الرخ المعدل ، كان من المهم التصدى لكافة الجيوش المغيرة خاصة القوات الزرقاء .

إذن ، كان لابد من مواجهة حاسمة بين المائة رخ المعدل الباقين على قيد الحياة ، وبين القوات الزرقاء التى راحت تحاصر البلاد وهى تطلق أسلحتها الإشعاعية التى تسربت إلى دهاليز المدينة وخنقت بعضا من الرخ الذى فقد وعيه ، بل إن البعض قد نفق فعلا .

وعندما انتهت المعركة كان عدد أفراخ الرخ المعدل قد بلغ خمسة وسبعين رخا ، والذين نجحوا فى أسر عدد لابأس به من الجنود الزرق . . بينما أفلت البعض الآخر ، والذى يبدو أنه توجه إلى هدفه الذى بُرمج من أجل تحقيقه .

(٢١)

وسط الظلام الدامس ، جلس الجميع يستمعون إلى قصة الرخ المعدل وماحدث لابناء عشيرته على أيدى الجنود الزرق ، بدا الأسى واضحا على لهجته ، وفهم الزملاء سر تلك اللكنة الحزينة التى

بدت فى كلماته حين سمعوه يتكلم لأول مرة .

هنا هتف العجوز :

ـ هذا هو أول الطريق . . رخاو يعرف أول الطريق . .

سألت عائشة : ماذا تقصد . . ؟

رد العجوز : الكارثة ستكون جسيمة لو وصل هؤلاء الجنود الأشرار إلى الينابيع الزرقاء . .

قال مصطفى : لعلهم وصلوا . .

رد رخاوا : أعرف كيف أصل قبلهم . .

رفع العجوز رأسه إلى الرخ العملاق ، وسأله :

ـ هل فى إمكانك . . ؟

أجاب رخاو من جديد : يجب أن أثأر لأبناء وطنى . . وأن أخلص الكون من هؤلاء الأشرار .

تمتم العجوز : إذن علينا أن نرحل فورا .

رفرف الرخ بجناحيه قبل أن يطير كأنه يستعرض قوته ، وقال :

ـ سوف أحملكم جميعا على جناحى وأطير . .

قال العجوز : بل سنطير معك فى البالون السلوفان . .

وبسرعة أخرج من مخلاه البيضاء علبة صغيرة ما إن فتحها وسـ
الظلام حتى تحولت إلى بالونة بللورية لامعة ، انفتح فى أطراف

باب ، هنا أشار العجوز إلى الزملاء الأربعة :

ـ هيا ادخلوا . . بسرعة . .

وكان عليهم أن يدخلوا قبل أن يغلق الباب . وفى لمح البصر ، رفرف الرخ المعدل ، ثم طار ، وأمسك بقدميه طرف البالونة . ثم بدأ يحلق فى الفضاء . .

ووسط هذا الجو المظلم ، بدا المنظر بديعا . خاصة أن أشعة متعددة الألوان راحت تنسكب من حول الرخ المعدل ، وأخذت تنعكس على البالون المصنع من السلوفان .

(٢٢)

وبدأت الرحلة المثيرة . .

إنها رحلة سباق حقيقى مع الزمن . ففى تلك اللحظات ، كانت هناك جحافل هائلة من جنود يرتدون اللون الأزرق ، لاتبدو منهم سوى عيونهم الحمراء التى تثير الخوف فى القلوب . راحت هذه الجحافل تتحرك فوق الجياد الرهيبة من أجل الوصول إلى الينابيع الزرقاء من أجل زرع الألغام .

كانوا قد غادروا بلاد الرخ المعدل ، ولم يعرفوا أن فى أعقابهم الآن واحدا من شباب هذا الرخ وقد قرر أن ينتقم منهم ، مهما كان

الثمن ، فقد شارك فى المواجهة الساخنة التى اندلعت بين الفريقين ثـم نجح فى القبـض على الكثير مـن الجنـود الزرق ، واستطـاع أن يعرف لماذا هذا الهجوم البربرى المتوحـش الذى لامعنى له ولاتبرير بالمرة .

إنهم الآن ينطلقون حاملين معهـم تلك المشاعر الشريـرة بإثارة الرعب فى العالم ، وذلك بأن يعملوا على تدمير الينابيع الزرقاء .

إنهم ينطلقون بكل قـوة وشراسة وهم يدركـون أن قوة واحدة فى العالم لن يمكنها أن تقف فى مواجهتهم ، ولا أن تصدهـم . خاصة بعد أن انتصروا على الرخ المعدل . وقتلوا عددا من سلالته .

ومع تباشير الفجر ، كان الجنود قد اقتربوا من هدفهم البعيد ، وقف زعيمهم فجأة بجواده الشبحى ، وتطلع إلى التل الماثل أسفل وقال :

ـ آه . . هنا تكمن الينابيع الزرقاء . .

راحت بقية الجنود الزرق تنظـر فى دهشة وخشوع ، كأن عليهم ان ينحنوا أمام هذا المنظر الخلاب ، فهنـا منبع لونهم المفضل الذى اختاروه رمزا لمدينتهـم الشريرة الخالدة . . هنا لايمكـن لشمس أن تشرق ولايمكنها أن تغـرب ، وهنا يمكن لكـافة الألـوان أن تذوب فاللـون الأزرق يحمل درجات عـالية مـن بين كافة الألـوان . وهو

جذاب للعين بـدرجاته المختلفـة وهو لون السماء والبحـار فى بلاد الشر .

فجأة تمتم قائد الجنود بكل قسوة :

ـ سوف ندمرها . .

ثم هتف فى داخله بكل ضعف : وأيضا سندمر أنفسنا . .

(٢٣)

كان عليهـم الطاعـة . والطاعـة العمياء . فـأقصى درجـات الامتثال هو أن ينفذ المرء الأمر دون أن يسأل عن نتائجه ، حتى ولو كان فى ذلك حياته . وأمام أوامر الشبح الأزرق كان على الجميع أن يمتثلوا مهما كان الخطر . .

لم يكن الأمـر مفهومـا بالمرة . . فلماذا يسعـى الشبح الأزرق إلى تدمير تلك اليـنـابيع الزرقاء . . بدا التفسير الوحيـد فى ذلك أنه فى اللحظة الأخيرة سوف ينغمس فى ينابيع أخرى هى الينابيع الحمراء وسيتحول إلى اللون الأسود القاتم ، ليتحول إلى كائن مختلف ، أشد سوداوية وشرورا .

صاح قائد الجنود الزرق :

ـ هيا . . ازرعوا الألغام . . وسندمر المكان على وجه السرعة .

وانطلق زارعو الألغام فى الوادى الذى يحيط بالينابيع الزرقاء وبكل مهارة راحوا يدفنون ألغامهم التى عليها أن تنفجر فى الوقت المناسب .

كان الوادى غريبا فى شكله . فهناك فى منتصفه ينسال شلال من الألوان السائلة الشديدة الزرقة ، التى تندفع بدورها فى مجرى مائى بقوة هائلة ، ثم تصب داخل الوادى فى قنوات صغيرة قبل أن تختفى من تحت سطح الأرض . ومن البادى أنها تتسرب إلى بقية بقاع الدنيا .

بدت عملية زرع الألغام وهى تدور على قدم وساق ، بالغة السرعة وكأنهم فى سباق مع الزمن ، فحسب الأوامر التى جاءت إليهم ، فمن اللازم زرع الألغام ثم سرعة الابتعاد عنها وتفجيرها بواسطة مفجرات خاصة من مسافة بعيدة .

قال قائد الجنود عندما رأى العمل يكاد ينتهى :

ـ هيا . . باق من الزمن ثوان . .

ورغم الصلابة والحزم اللذين بدوا فى صوته فانه كان شخصيا يتمنى ألا تمر هذه الثوانى . .

ومع ذلك مرت الثوانى سريعة كالعادة ، واستعدت جحافل الجنود للانسحاب . ولكن فجأة ظهر شىء لم يكن فى الحسبان . .

فى بدايـة الأمر لم يعر أحـد انتباها لذلـك الرخ الذى حـط من السماء حامـلا معه تلـك البالـونة البللوريـة التى يـوجد بـداخلها خسمة أشخاص يبدو أنهم لاضرر منهم، فهـم ليسوا سوى أربعة من الشباب صغار السن ورجل عجوز .

هنا صاح أحد الجنود :

ـ اقتلوه مثلما حدث لأقرانه . .

وقبل أن ينتهـى الجندى مـن جملته كان الـرخ المعدل قـد وضع البالـونة البللوريـة فوق الأرض، وأسرع نحـو قائد القوات الـزرقاء يلتقطه بمخالبه القوية . . ويـرتفع به إلى أعلى وسط دهشة الجميع وصرخاته فى جنوده . .

ـ أطلقوا النيران على هذا الرخ . . وإلا . .

تحركت الأحـداث بسرعة ولم يكن القـائد فى حاجة إلى أن يـأمر جنوده، فقـد استعدوا بالفعل لإطـلاق أشعتهم القاتلـة على الرخ الذى اختطـف قائدهم بسرعـة ،ولم يكن لأحـد أن يجرؤ على فعل ذلك عقب الخسارة التى منيت بها عشيرته .

وعلى وجه السرعـة أيضا راح العجـوز يمسك مـرآة الذاكـرة ، وأخذ يفردها بين يـديه حتى أصبحت فى ثوان قليلة أشبـه بالقرص الدائرى الضخم «الدش» الذى يستخدم فوق العمارات العالية .

وبينما راحت المرآة العاكسة تكبر بين يـدىّ العجوز، كان هناك انسلاخ ملحوظ يتحرك فى جسده فانتفخت عضلاته ، وحل الصبا محل الشيخوخة ، ودبـت القوة فى ساعديه ، وراح بكل سرعـة يدير المرآة ذات اليمين وذات الشمال ، كأنما ليتأكد من أنها سوف تتحرك معه بسهـولة حسبما يشاء . . هنـا صاح والجنـود يستعدون لضرب «رخاو» بأسلحتهم الإشعاعية :

ـ أيها الأوباش ، انظروا إلىّ هنا . .

بدا صوته جهوريا . مليئا بالمهابة والقوة ، مما لفت انتباه الجنود فالتفتوا إليه ، وكلهم شعور بالسخرية والكبرياء . .

ولكن فجأة حدث مالم يكن فى الحسبان . .

(٢٤)

راح «الفارس النـادر» الذى انسلخ مـن الرجل العجـوز يضبط مرآة الـذاكرة مـن خلال أزرارهـا البالغـة الدقـة على منطقة أشعـة الشمس الحارقة التى أمكن لهذه المرآة أن تسجلها فى ذاكرتها عندما تـم تعريضها للشمـس لساعات طويلة فى يوم حـار ارتفعت درجة حرارته قـرابة الخمسين درجة . واستطاعـت أن تكثف هذه الحرارة وأن تختزنها رغم شدتها وقوتها .

وعلى الفور انطلقت من قرص المرآة أشعة قوية براقةاتجهت نحو الجنود الزرق الـذين لم يمكنهم حتى أن يشعروا بـالخوف والرعب ، فقد كانت الأشعة أسرع مما يتصور المرء . أو ان ترصدها العيون .

وسرعان ما انطلق الصراخ فى المكان ، بينها اندفعت الأشعة نحو هذه الجحافـل من الجنود الزرق . . فحـاولوا الهرب ، أو أن يغلقوا أعينهم الحمراء ، ولكن الأشعة بدت شديدة القوة وراحت تكتسح أمامهـا كافة الألوان . فتجعلهـا باهتة بعـد أن كانت لامعة بـراقة ونجحـت أشعة الشمـس المنعكسة فى ذاكـرة المرآة على أن تؤكسـد اللون الأزرق وأن تجعله ، بـاهتا حتى أصبح ليخيـل للمرء أن هذه الأشباح التى كانت زرقاء قد أصـابتها العتة ، والزمن ، منذ حقبة طويلة .

راح « الفارس النادر» يدير قـرص المرآة الضخم بكل قوة ومهارة ولم يكن لأحد أن يفعل ذلك إلا من خلال عضلات مفتولة ومهارة نـادرة ، بينها تكوم الجنـود فـوق الأرض بعد أن تخلصـوا مـن كافـة أسلحتهـم .

لم تدم تلك المعركة الغريبـة أكثر من خمس ثوان لاأكثر . تمكن خلالها «الفارس النادر» أن يجعل أشعة الشمس الحارقة تتمكن من كافة هؤلاء الجنود الأشرار الذيـن نجحوا بدورهم فى زرع الألغام فى منطقة الوادى .



هنا صاح الفارس النادر موجها كلامه إلى الرخ المعدل :

ـ رخاو . . هؤلاء هم أسراك . . فافعل بهم ماتشاء . .

كان رخاو فى تلك اللحظات يطير على مسافة قريبة من الأرض وهو لايزال ممسكا بالقائد الأزرق الذى همس فى داخل نفسه وهو يرى ماحدث لجنوده فى لحظات قليلة : « مصيبة أخف من أخرى» . . هنا قال « رخاو» من عليائه :

ـ أيها الفارس . أشكرك باسم بلادى . . موطن الرخ المعدل .

وسرعان ما امتلأت السماء بالعديد من أبناء الرخ المعدل الذين بدت أجسامهم بالغة الضخامة والقوة، كأنما جاءوا ليستلموا أسراهم على وجه السرعة .

(٢٥)

قال « رخاو » وهو يصافح «الفارس النادر» وزملاءه الأربعة :

ـ القانون الأعلى للفنطازيا يحتم علىّ أن أبقى هنا . وألا أتجاوز هذا المكان خطوة واحدة .

ابتسم شادى وهو يقول :

ــ كان بودى ان تكون معنا فنحن بحاجة إلى كائن رشيق مثلك .

ربت « رخاو » بجناحة الأيمن على كتف شادى ، وقال :

ـ فى عالم الفنطـازيا هناك دائما مخلوقـات كثيرة . تثير الدهشة . رحلة ممتعة .

ثم راح يستدير وهو يلوح بيديه . هنا جاء صوت القائد الأزرق من داخـل قفصه الذى حمله اثنـان من الرخ المعـدل وهما يستعدان للطيران به إلى مجهول :

ــ أيها الفـارس . . لاتفـرح كثيرا . . فبعـد قليـل ستقـابلـك المفاجآت المثيرة . .

لم يرد «الفارس النـادر» بكلمة . . فهو يعرف إلى أى شـىء هو مقبل الآن . . إنـه يعلم أن منطقـة الوادى مـزروعة بـالألغام ، وأن عليـه أن يكشـف عـن أمـاكنها . وأن يتخلـص منهـا فى الـوقـت المناسب .

إنها منطقة ألغام ، تلك المزروعة أمامه الآن فعلا . .

لكن أى ألغام هى ؟ من أى نوع ؟ ذلـك مالا يعرفه بالضبط . لذا وقـف الجميع يتأمـل المشهد أمـامهم . كان الـوادى واسعا فى نهايته الشلال الذى يتساقط منه سيل اللون الأزرق . نظر الفارس إلى الرفاق الأربعة قائلا :

ـ إنه منظر جميل ، أليس كذلك ؟

هـز الجميـع رؤوسهـم وجاء صـوت مـروة : الأزرق دائما لـون جميـل . لكن جمال الألـوان هو أنها تتنـاسـق معا . . ولايمكـن أن نعيش بلون واحد فقط . .

كـانوا جميعـا وسـط الأحداث السريعـة التـى مرت قـد تجاوزو الـدهشة حين رأوا العجـوز يتحـول إلى «الفـارس النادر» فحسـب المغامرات السابقة ، فإن كلا من عائشة ومصطفى يعرف ذلك تماما أما مروة وشادى فلعلهما قدعرفا بالأمر من خلال همسةعائشة حين قالت فى بداية الرحلة : « هذا العجوز رجال فى رجل واحد » .

بدا الفـارس ، كأنه فى حـالة استغـراق شديد ، وهـو يفكر فى أنسب وسيلة لاجتياز منطقة الألغام . . ثم تمتم فجأة :

ـ لايوجد سوى حل واحد . .

(٢٦)

كان يعرف أن البسـاط الالكترونى لاتفيد فى مثل هـذا الأمر ، فما أسهل أن يركب البساط وينطلق نحو بؤرة الينبوع ، ويلتقط من هناك نقطة واحـدة مُركزة يضعها فى أنبوبة مجهـزة لهذا الغرض ، ثم يعود مـرة أخرى إلى منطقة الأمـان ويكون ذلـك قد ضمن أنـه قد حصل على اللون الأزرق .

لا ، فلاشـك أن المنطقة كلهـا فى خطر ، والألغـام يمكنها أن تنفجر فى أى لحظة خـاصة لو كانت ألغـاما موقوتـة . لذا فمهمته الحقيقية ليسـت الحصول على نقطة مـن اللون المركز ، ولكـن تأمين هذه المنطقة الحساسة .

دس يده فى مخلاه البيضاء ، وسرعان ما أخرجها مرة أخرى وراح يمد للزملاء بملابس غريبة الشكـل مصنوعة من النايلون الشفاف القوى قائلا :

ـ ارتدوا هذه الملابس . بسرعة . . وغطوا رؤوسكم .

لم يتردد الأربعة فى أن يسمعوا كلماته وأن يطيعـوه . لكن عائشة قالت :

ـ لكن النايلون سيكتم أنفاسنا . .

لم يكن الفارس النـادر فى حاجة أن يرد عليهـا ، فما إن وضعتها على رأسها حتـى أحست كـأنها فى غرفـة مكيفة الهواء ومـزودة بغاز الإكسجين ، وشعر الآخـرون بالارتيـاح . ثم استعـدوا جميعا للسير فوق منطقة الألغام .

هنا يتجسد الخطر . .

فترى أين توجد الألغام حقا ؟ وماهى نوعيتها ؟ هل هى قنابل يمكنهـا أن تنفجر فى أى لحظـة ، أم شيء آخـر مختلف ؟ لا أحـد

يعرف بالضبط ماذا يكون . .

سار «الفارس النادر» فى المقدمة . ومشى الرفاق فى أثر خطاه بالضبط فالألغام يمكنها أن تنزرع فى أى مكان ، ويمكن لشخص ألا يدوس فوقها . لكن هذا لايمنع أى شخص آخر يمشى إلى جانبه بسنتمترات قليلة يمكنه أن يطأ فوقها . . وتنفجر فيه . .

راحت القلوب تخفق بشدة . ومن وقت لآخر ، كان شادى ينظر إلى مروة ويمط شفتيه مبتسما كأنما ليؤكد أنه أبدا ليس بخائف .

ومشى الخمسة وسط حقل الألغام المزروع فى الوادى بخطى قلقة مليئة بالاضطراب ، لكن فجأة صاح مصطفى :

ـ انظروا . . إنه ينفجر . .

(٢٧)

فجأة داس «الفارس النادر» فوق زر لغم غير واضح فى الأرض وسرعان ماتدفق بركان هائل راح يرتفع به فى السماء وهو ينثر حوله كمية من البترول القابل للاشتعال فى أى لحظة . .

يا إلهى . . إنه اللغم الأول . إنه بالغ البشاعة والقوة . . يرتفع نحو السماء كأنه قذيفة أطلقها مدفع عملاق ليس لمداه نهاية . .

وهاهو يدفع أعلاه بجسـد الفارس النادر الذى لم يستطع أن يتوازن فى البداية . .

إنه لغم بشع ، وماكر ، ولئيم . .

فلاشـك أن انفجاره هنـا سيلوث المنطقـة ، وسيجعلها قـابلة للاشتعال فى أى لحظة وسيفقدها بكارتها وبراءتها . . اندفع الرفاق للخلف ، قليلا ، وارتموا فوق الأرض ، وهم يـرون الغاز يتدفق إلى أعلى . .

لكن ، فجأة توازن «الفارس النادر» فوق طرف الأنبوبة المتدفقة وكأنه يقف فوق أرض صلبة وراح يضغـط بكل قدمه على الأنبوبة كأنه يحاول أن يرفعها عن الأرض مرة أخرى بكل ماوهبه الله من قوة وعزيمة .

بدت المواجهة مليئة بالصرامة والتحدى ، فالغاز المتدفق يسعى أن يرتفـع لأعلى بأى ثمن محاولا الوصـول إلى الينبوع من خـلال قوة القـذف ، أما «الفـارس النادر» فقـد سعـى بكل قـوته أن يضغـط بقدميـه لإعادة السائل إلى النقطة التـى انطلق منها ، وهـو فى أشد الحرص ألا تسقط نقطة واحدة فوق الأرض فتلوث اللون الأزرق أو تغير من درجاته ونقائه .

صاح بصوت انطلق إلى السماء :

ـ اعتمد عليك يارب . .

وراح يضغط وبكل قوة وأخذ يقاوم السائل المتدفق ، وأحس أنه سوف يغُلب حتما ثم هتف للمرة الثانية . وبكل ما امتلك من عزيمة ، دفع السائل أسفل قدميه وأحس كأنه بدأ يمتثل له فعلا .

كانت لحظات رهيبة مليئة بالمواجهة والإرادة والعافية ، أحس كأن البترول الغاز التى تدفقت لتحول المكان إلى جحيم ، قد أصبحت طيعة بين يديه . وبدأت تتراجع محاولة العودة إلى ينبوعها فى الأرض مرة أخرى . . وبالفعل بدأت تتقهقر إلى أسفل ولكن بصعوبة شديدة . .

(٢٨)

صاح «الفارس النادر» ، وهو يدوس بقدمه القوية على طرف اللغم :

ـ بسرعة ، احفروا حول قدمى . . فهنا يكمن اللغم .

وأقترب الرفاق الأربعة من قدم« الفارس النادر» ، وراحوا ينظرون إليها وقد امتلئوا بمشاعر مضطربة ، فلم يسبق لهم أن قاموا باصطياد الألغام ، لكن نظرات الفارس إليهم ومارأوه قبل قليل

وهو يجاهد بكل مايملك جعلتهم يسرعون ويحفرون حول اللغم .

صاح وقد بدت حروف كلماته واضحة ، وهادئة :

ـ برفق وبلا خوف . . هه . . هيا . . لنغن معا . .

وفوجئ الرفاق الأربعة به يغنى :

أيها الأزرق الكبير . .

إنى أغنى لك . .

راح يكرر الأغنية عدة مرات ، بدا صوته أجش ، لايصلح بالمرة للغناء وقد يصيب المستمعين بالنفور ، لكن الشىء الوحيد الذى بدا فيه جميلا هو حماسة الذى انتقل إليهم بالتالى فوجدوا أنفسهم ينشدون معه . راح يطيل فى ايقاع الالحان ، ثم يقصر مما أصابهم بالحيرة وهم يغنون :

فجأة صاح شادى :

ـ هاهو اللغم . .

كانوا قد نجحوا فى كشف اللغم بعد أن راحوا يحفرون حوله ، وبدا أخيرا كاملا بشكله الغريب . إنه أقرب إلى مصباح علاء الدين ، له فوهة تدفق منها السائل الذى كان يمكنه أن يشتعل فى أى لحظة ، وأن يحول المكان إلى كتلة متفجرة من النيران .

(٢٩)

تنهد الجميع بارتياح . وهم يرونه يتمكن من اللغم الأول . هللوا جميعا . بينما وقف ينظر إليهم وهو يتنهد كأنه قد قام فعلا بعمل خارق . ثم قال :

ـ سوف نستفيد من هذا اللغم يوما ما . فالبترول شيء ثمين للغاية . .

سألت عائشة :

ـ ترى هل هناك ألغام أخرى ؟

رد : أتمنى ألا يكون مثل هذا . . لقد كان صعبا ، لم أستطع السيطرة عليه بسهولة . .

ثم راح الجميع يمشون فى الوادى ، بعد أن تركوا أركان المصباح اللغم مكشوفا حتى لايتعثر فيه أحد ، رغم أن شخصا لن تسول له نفسه يوما أن يأتى إلى هذا المكان . .

وأخذوا يتحسسون المكان بخطى ثقيلة ، وهم يعرفون جيدا أن الطريق يخفى فى جوفه أخطارا قد تنفجر بهم جميعا فى أى لحظة .

فجأة انطلقت صرخة هائلة من المكان . وبدت كأنها لشخص يتألم ، بل ويتلذذ فى ألمه :

ـ آه . . أيها الفارس . . ابتعد . .

وارتد الفارس النادر إلى الخلف وقد وضع يده على سيفه مستعدا أن يشهره كى يبارز به ذلك المخلوق الغريب الذى بزغ فجأة من تحت الأرض . بعد أن داست عائشة دون أن تدرى على غطاء أحد الألغام . .

وفجأة انزرع المكان كله بمخلوقات غريبة من نفس الطراز ، كأنهم جميعا نسخ مكررة راحت تتراقص أمامهم وهى تهز رؤوسها المتعددة الزوائد، وتحرك أيديها فى اتجاهات عديدة . .

بدت جميعها مثيرة للنفور ،وكأنها كتل من العجين الذى يتحرك دون إرادة . . ولم يبرز فى وجوهها سوى تلك الآذان الطويلة التى تدلت وكأنها تكاد تلمس الأرض ، سأل شادى :

ـ إنها كائنات بشعة . .

رد الفارس النادر وهو لايزال ممسكا بيده سيفه :

ـ لا ، بل هى كائنات لطيفة . . انظروا كيف تهتز . . كأنها تود أن تغنى . . أو ترقص . .

وازدادت دهشة الرفاق . فلاشك أن الفارس يحاول أن يهون من الأمر، فلا يمكن أبدا لمثل هذه المخلوقات أن تكون لطيفة ، صحيح أنها تحاول أن تهتز لكن هذا لايمكن أن يكون رقصا بالمرة . . قال الفارس . .

ـ ألا تصدقوننى . . انظروا . . سوف يقلدوننى . .

(٣٠)

رفع يده إلى أعلى وسرعان ماراحت المخلوقات الغريبة تقلده ، رفعت زوائدها أيضا لأعلى ، ثم سرعان اخفض يده ففعلت مثلما فعل ، تنهد وقال :

ـ رائع . . علينا أن نرقص معا . .

وقبل أن ينتهى من جملته قفز لأعلى . . ثم سقط أرضا ، بينما الرفاق ينظرون إليه بدهشة . فلاشك أن الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يفعل ذلك هو مهرج وليس فارسا نادرا ، قادرا على مقاتلة أعتى الفرسان وأقوى الجيوش .

تساءلت مروة :

ـ ماذا تفعل . . ؟

فجأة انحنت الكائنات الغريبة أرضا ، وبكل سرعة وقبل أن ينتبه الجميع إلى ماحدث انقض الفارس على أحد الكائنات وراح بسيفه يفصل رأسه عن جسده ، ويلقى به بعيدا .

وتوالت الأحداث المدهشة ، فلم تكن تلك الكائنات سوى أنابيب ألوان فارغة سرعان ماتساقطت الواحدة تلو الأخرى ، بعد

أن سقطت الأنبوبة الأولى وذلك باعتبار أن جميعها نسخ مكررة ومتشابهة منها :

هتف شادى :

ـ ياللهول !!

وبينما راح «الفارس النادر» يعيد السيف إلى جرابه ، قال :

ـ إنها خيالات . . مجرد خيالات فارغة لاتثير أى فزع . .

هنا أشارت مروة إلى شيء فى نهاية الوادى قائلة :

ـ وهذه . . هل هى أيضا خيالات . . ؟

التفت الجميع إلى ذلك الفارس الذى يركب جوادا أبيض ويتحرك فى طرف الوادى قادما نحوهم ، راحوا يدققون النظر قال مصطفى :

ـ بالتأكيد إنه فارس ، لكن من يكون ؟

رد الفارس النادر :

ـ لعله حارس تلك المنطقة . .

تساءل شادى : ترى هل هو شرير . . أم هو مقاتل نبيل ؟

ولم تكن هناك إجابة شافية على هذا السؤال . .

(٣١)

اقترب الفارس فوق حصانه الأبيض بخطوات متباطئة ، وفجأة اختفى عن الأنظار وسرعان ماتجسدت الدهشة فى عيون الرفاق فى صاحب مروة :

ـ إنه فارس خفى .

هتف الفارس النادر : لا ، بل هو موجود هنا . .

راح يشير إلى المرآة الذاكرة التى أمسكها بيديه والتى كانت قد سجلت صورة ذلك الفارس بحصانه الأبيض قبل أن يختفيا فجأة ، صاح الفارس النادر بصوت عال ملئ بالتهديد والقوة :

ـ أنت هنا ، لن تختفى ، انظر صورتك .

ثم سادت لحظة صمت رهيبة . سمع الجميع خلالها تنهيدات خفية على مقربة منهم، وعلى شاشة المرآة الذاكرة انعكست صورة الفارس يتحرك قبل أن يختفى . ثم راحت تجسد صورة الفارس وقد تحول لونه إلى شىء مختلف . بدا كأنه استعد لمهاجمة الرفاق بعد أن تحول إلى شىء آخر ، صاح الفارس النادر وهو يشهر سيفه العملاق ويتجه إلى الفارس كى يطيح به ، وهو الذى لم ير نفسه فى مرآة الذاكرة ولم يعرف أن صورته انعكست عليها :

ـ انا أعرفك جيدا . . فأنت المتعدد الألوان . .

نجح فى أن يلقى بسيفه فوق الأرض . وعزله من سلاحه ، فرفع يديه إلى أعلى وتساءل :

ـ هل ترانى ؟

رد الفارس النادر :

ـ انظر ، إنها المرآة النادرة . .

تساءل الفارس المتعدد الألوان : ما الذى اتى بكم هنا . . ألاتعرفون أنه ممنوع على كل البشر اختراق تلك المنطقة . . ؟

قال شادى :

ـ بقعة من أصل اللون الأزرق . . هذا مانشده . .

رد الفارس فى لهجة مليئة بالأسى :

ـ هذا ممنوع . . من يأخذ لونا تصيب لعنة . .

أحس الجميع بالجزع ، تذكرت عائشة ماقرأته عن لعنة الفراعنة ، فهل هناك أيضا لعنة اللون الأزرق ، بحيث أن من يحصل على بقعة من هذا اللون تطارده اللعنة . هنا قال الفارس النادر :

ـ للضرورة أحكام . .

رد الفارس : ولو . . هل تعرفون ماذا يعنى أن تأخذوا بقعة من اللون ؟ . إنكم بذلك ستأخذون بقعة من ضوء وادينا . . فاللون

هو الضوء . . ونحن بلاد تعشق الضوء حتى ولو كان أزرق .

قال مصطفى :

ـ لقد ضاع قوس قزح من مدينتنا .

رد الفارس المتعدد الألوان : آه . . هذا شيء عجيب . . فالبلاد التى يختفى منها قوس قزح لاخير فيها . . لكن . .

بدا مترددا ، ثم نظر إلى سيفه الذى سقط أرضا ، بينما وقف خصمه «الفارس النادر» شاهرا سيفه ، تمنى أن تتيح له الفرصة لنزاله . . فهو لايمكنه أن يمتثل أبدا ويسلم بقعة واحدة من ضوء بلاده إلى هؤلاء الغرباء .

فجأة صرخت مروة :

ـ الحق إنه ينظر إلى سيفه . .

وفجأة التفت «الفارس النادر» إلى السيف الذى قفز فى الهواء فجأة ، وكأن عينى« الفارس المتعدد الألوان» قد جذبتاه بقوة وجعلتاه يطير من أجل أن ينغرس فى صدر الفارس النادر ، الذى سرعان ماضرب بسيفه فى الهواء ، وبكل قوة شطر السيف الطائر إلى أربع قطع أحدثت دويا هائلا عندما سقطت فوق الأرض .

وسرعان ما ازداد الجو توترا ، وانحنى الفارس المتعدد الألوان فى ادب جم أمام خصمه ، وقال :



ـ لقد تحققت النبوءة . فعندما ينكسر السيف إلى أربع قطع ، سيأتـى فارس يمكنـه وحده أن يـأخذ بقعـة من ضـوء بلادنـا . . تفضل . .

أشار بيده اليسرى إلى طرف الوادى الـذى جاء منه ، وراح يمد يده فى الهواء نحو أجـزاء سيفه المكسور التى سرعان مـاتجمعت مرة أخرى ، وعادت إلى هيئتها الأولى ، وطارت لتستقر فى يده . .

(٣٢)

وسارت الأمور على مايرام .

ورغم أن الرفاق تصوروا أنه يمكن أن يمكن أن تحدث مواجهة جديدة ، خاصة بعد أن تجمعت أجزاء السيف مرة أخرى فى يده . لكن الفارس النادر رد قائلا :

ـ إنه حارس . وعليه أن يحترم النبوءة ، والمهمة الموكولة له .

وساروا فى الـوادى واتجهوا نحـو منابـع الشلال . كـان المشهد بديعا للغاية ، وراحت درجات اللون الأزرق تتبدى أمام الأعين . وامتلأت العيـون بالدهشـة ، وهى تشـاهد مثل هـذه التشكيلات التى تنبـع من اللون الأزرق . وفجأة فى نهايـة الوادى ظهرت كـافة الكائنـات والمخلوقات التـى اكتسبت شهرتها مـن اللون الأزرق ،

بدت بـديعة ، ورائعـة فى شكلها . ولم يكـن على أى لسان سـوى تعبير « سبحان الخالق الأكبر » .

هتفت عائشة :

ـ ياخسـارة . . فبلادنا افتقدت كل هذه الألوان البديعة فجأة .

هنا انحنى الفارس النادر ، وبدأ ينكمش وهو يحاول أن يلتقط بأطراف أصابعة بقعة مـن الضوء الأزرق ، والتى سرعان مادفع بها داخـل أنبـوية صغيرة أشبهـة بـأنبـوية معـاجين الأسنـان ، وكلما اندفعت بقعـة الضوء الأزرق المقدس داخلها كلما تضـاءل جسمه حتى أصبـح رجلا عجوزا ، أخـذ ينظر إليهـا وسط الدهشـة التى أصابت الرفاق . ثم ردد :

ـ عثرنا على البقعة الأولى من الكنز المفقود . .

تمتمت عائشة بصوت مسموع :

ـ أنا أعرف مخاطر مثل هذه الـرحلات . ورغم ذلك جئت كى أشاهد مثل هذا المنظر البديع . .

وراحـت تنظر إلى الأفـق الأزرق ، بـدرجـات ألوانـه المتعـددة المهيبة ، أحست كأنها ترى الشمس هناك مشرقة ، لكن بدرجة ما مـن اللون الأزرق ، وأحسـت إن هناك مـزروعات خضراء ولكـن خضرتها تلفعت أيضا بدرجات من اللون الأزرق . . وفجأة تذكرت

أن مدينتهـا الآن محرومة من هـذه النعمة الإلهيـة الكبرى ، فلمست وجنتها الساخنة واكتشفت أنها تبكى .

(٣٣)

إنه ليـوم عصيب للغـاية فى المدينة الـزرقاء ، ليـس فقط ، لأن مجموعة كبيرة من الأسرى وقعوا بين أيـدى طائفة الرخ المعدل وأنهم الآن يعملون على تطـوير البلاد التـى خربوهـا فى غزوتهم الأخيرة ، ولكن أيضـا لأن العجوز استطـاع ان يحصل على بقعـة من الضـوء الأزرق ووضعها فى مخلاته البيضاء .

جاء صوت الشبح الأزرق على الشاشـة مكتوبا بكلمات تنضح بالغضب :

ـ كله إلا اللون الأزرق . . إنه ملك لنا . .

نظر إلى مساعده « الداكن » الـذى لم يكن بقادر على رفع عينيه إلى رئيسه ، فهـو يعرف أن الشبـح الأزرق دائما فى حالـة غضب ، خاصة كلما انتصر «الفارس النادر» فى مواجهـة جديدة . فبلاشك فإن الشبح الأزرق يقدح ذهنه فى كل مرة ، ويشحذ همته من أجل تحقيق هدف شرير ، ولكن هاهو هذا الفارس يقف له بالمرصاد .

ولأول مرة يظهر على الشاشة الناطقة وجه «الشبح الأزرق» وهو

يتكلم ،كان فيما قبل وفى حالات الغضب الأقل درجة يتكلم فقط فلا يظهر سوى مايقوله من خلال كلمات مكتوبة على الشاشة . أما الآن فها هو يظهر بوجهه ، ويتكلم . إنه حين ينطق لاتخرج عباراته إلى السامعين ، لكنها تخرج بذلك الشكل الغريب على الشاشة ، قال صارخا .

ـ لن تتكرر مثل هذه المهزلة . .

رد «الداكن» قائلا :

ـ لعلهم سيتجهون الآن إلى « جبل النار » .

صرخ« الشبح الأزرق» بكل مالديه من عصبية :

ـ لا . . إلا « جبل النار » . . مفهوم ؟

هز المساعد رأسه متسائلا : بماذا تأمرون ؟

نظر «الشبح الأزرق» إلى شاشة على الحائط ، وكأنه يتطلع إلى مجهول وقال :

ـ دمروا الشعلة .

قال المساعد : مستحيل . . فكلما دمرناها ازدادت اشتعالا وتأججا . . إنها من النار .

وجاء صوته من جديد على الشاشة ، وهو يقول :

ـ إذن اطفئوها . . أمامكم الناقوس الأسود . .

وكان ذلك إيذانا ببداية المتاعب الحقيقية .

(٣٤)

إنها بلاد غـريبة ، مترامية الأطـراف . واسعة . يسكنهـا هؤلاء الأقزام منذ آلاف السنوات ، لايكاد أحد يعرف عنهم شيئا . . هذا هو ناقوسهم العملاق الأسود قد اكتمل بعد كل هذه المعاناة .

إنه « وادى الأقزام » البعيد . لقد توارثت الأجيال فيه هما واحدا هو الانتهاء من بناء ذلك النـاقوس ، المصنوع من البللور الأسود . وذلـك بناء على وصيـة الجد الأكبر الملـك « دايت » الـذى رأى أن الأقزام يجب أن يبنـوا بناية شـامخة ، ترتفع إلى عنـان السماء ، حتى يؤكـدوا لكل العالم إنهم إذا كانـوا صغار القامة فـإن اعمالهـم شامخة ومارِدة . .

الآن ، هاهو الناقوس يقـوم فى أعلى الوادى . . تراه العيون من مسافات بعيدة ، ربما تصل إلى مئات الأميال . وهاهو الشعب كله يستعد فى هـذه الليلة لـلإحتفال بمناسبـة انتهاء العمـل فى تشييد الناقوس الأسود المصنوع من البللور الخالص .

هاهى الفرحة تعم كل أبناء « وادى الأقزام » . والسعادة ترفرف على القلوب ، والأغنيات تنطلق فى كل مكـان ، فهاهى الإرادة قد

تحدت ، وحققت نصرا. إنه يوم المجد الأكبر فى الوادى ، ويوم الفرحة المطلقة . والبهجة التى لاحدود لها .

لم ينم الناس منذ ثلاثة أيام . . وكيف لهم أن يناموا ويتركوا تلك الاحتفالات التى تملأ الوادى ، وهل ينام أحد وقد تحول المكان كله تحول إلى كتلة من الضوء المشع ، وهاهو الناقوس يبدو شامخا فى مكانه . .

سرعان ماغير الأقزام أسلوبهم فى التحية . فبدلا من التحيات التقليدية القديمة ، راحوا يحيىّ بعضهم البعض « صباح الناقوس السعيد » .

وفى المساء يرددون : « عم عليكم الناقوس » .

إنها لحظة النصر ، والفرحة ، ارتفعت الأصوات المبتهجة ، الممتزجة بالصفير ، والصراخ . وأيضا أصوات صفارات الإنذار. . نعم . صفارات الإنذار التى انطلقت فى الوادى ، لكن أحدا لم ينتبه إليها . فقد حسبوها من علامات فى المهرجان . . ولم يكن أحد يتصور أن جحافل شريرة من الجيش الأزرق قد استطاعت دخول الوادى . ولديهم أسلحة يمكنهم بها من الاستيلاء على المكان بسهولة غير متوقعة .

(٣٥)

عندما ترك رجال الجيش الأزرق « وادى الأقزام » كانوا كعادتهم قد تركوا الأحزان والدمار ، والألم والدموع والذهول .

لم يصدق ابناء وادى الأقزام أن هذا يمكن أن يحدث وان «الناقوس الأسود » يمكن أن يسلب منهم بكل سهولة . وأن يختفى فجأة ، وهو الذى استغرق بناؤه سنوات طويلة ، جعلت كل الأجيال ترى أجزاء منه حتى اكتمل أخيرا ، وأصبح رمزاً للجميع .

لقد استطاع رجال الجيش الأزرق أن ينشروا الغازات المخدرة فى الوادى ، فلم يلقوا أى مقاومة تذكر ، واستطاعوا أن يحملوا الناقوس فوق سيارتهم الالكترونية التى صنعوها خصيصا لهذه المناسبة . والتى لاتستطيع سيارة أخرى حمل مثل هذا الناقوس البللورى الأسود العملاق سواها .

وعندما تنبه الأقزام من غفوتهم ، بعد أن زال أثر المخدر ، نظروا إلى الأفق ، فلم يروا جيدا ، لأن الناقوس قد اختفى . وساد الهرج والمرج ، وتساءل الجميع عما حدث ، وأين ذهب الناقوس . وراحت الأقاويل تتردد ، وأكد أقزام المراقبة أنهم أطلقوا صفارات الإنذار عندما رأوا جحافل زرقاء تقترب من الوادى . لكن أحدا لم ينتبه .

ردد أحـد الأقزام : ومـاذا كـان يمكـن أن نفعل ؟ . إنهم مـن العمالقة . .

وبكل غضب ، ردد مـواطن آخر من الأقزام موجهـا كلامه إلى زميله : كيـف تقول مثل هذا الكـلام أيها الانهزامى . الموت أشرف لنا من أن ننام مخدرين . ويضيع منا ناقوسنا .

ونطق كلمة « ناقوسنا » بطريقة أثارت حمية الجميع .

ورغم هذا الحماس ، فإن أحـدا لم يعرف ماذا يفعلون . . اقترح أحد الأقزام أن يشكلـوا جيشا يذهب فى إثـر الجحافل الزرقـاء من أجل استعـادة الناقوس . . ولكـن فجأة نطق طفـل صغير ببعض الكلمات :

ـ أيها الآباء . . هلا سمعتمونى . . لقد رأيت ماحدث .

التفتت العيـون إليه ، ولأنـه لايوجد فى بـلاد ، الأقزام مـن هو طويل أو قصير . بل الكل سواسية ، تركوه يقول :

ـ لقد كنـت نائما فـوق تلك الشجـرة العاليـة . . كنت هنـاك أحاول أن أنظر إلى الناقوس من أعلى ورأيت كل شىء . .

ثم راح يحكى ماشاهده . .

تساءل شادى :

ـ ترى من اين نأتى بالبقعة الحمراء . . ؟

(٣٦)

لم يود العجوز أن يعلن أنه حقيقة لايعرف . وأنه لأول مرة يخرج فى مغامرة لايعلم شيئا عن دروبها ، ولا أين نهايتها ، إنه واثق أن اللون الأحمر نائم هناك ،وفى مكان بعيد،لكن أين ؟ لايعرف بالضبط . . صحيح أن هناك منطقة معروفة باسم « الجبل الأحمر » وهناك البحر الأحمر . . لكنه متأكد تماما أن البقعة الضوئية المطلوبة ليست موجودة هناك . .

ساد الصمت قليلا ، وراحت عيون الرفاق ترقبه ، كأنها تنتظر منه الإجابة . لكنه لم يعرف كيف يتصرف .

كانوا فى تلك اللحظة واقفين عند أطراف غابة كثيفة . وبدا كأن اليوم التالى للمغامرة على وشك أن يبدأ ، فهنا تبزغ الشمس من جديد . . فكر العجوز فى ما يجب أن يفعله . . فليس عليه أن يستخدم نفس الوسيلة مرتين . ولكن أن يجدد دائما فى مغامراته . . فكر أن يستعين بخريطته الإليكترونية المجسمة التى يملكها . ومن خلالها يمكن أن يعرف موقع الجبل .

قال :

ـ لايوجد سوى الخريطة الاليكترونية .

ومد يده إلى مخلاته ، وأخرجها ، ثم راح يتفحصها ، كانت صغيرة ولكنها غريبة الشكل .

سألت عائشة :

ـ كيف يمكن أن تعرف بها الأماكن الخيالية ؟

رد العجوز : لاشك أن جبل النار موجود فى مكان ساخن ، ولذا فهو موجود فى أشد الأماكن سخونة .

وقبل أن يدوس على اللون الأحمر الذى فى طرف الخريطة الاليكترونية ، سمع الجميع صوتا لحركة بين الأعشاب . . وبسرعة راح كل منهم يتحسس سلاحه ، وانتبهت حواس العجوز ، وراح يحوط الرفاق بيديه كأنه يحاول حمايتهم من شر يمكن أن يحدق بهم . . ثم شد أعصابه كأنه يمكن أن ينسلخ بين لحظة وأخرى ، وهتف :

ـ من هناك . . ؟

ولم يسمع أحد أى إجابة . واختفى الصوت فجأة ، ثم عاود الظهور ، ومن جديد اشتدت الأعصاب وتوترت المشاعر . . وقال مصطفى :

ـ حذار ، إنهم الجنود الزرق . .

(٣٧)

وبـرز من بين الأشجـار قزم أسمـر اللون . يمسـك بين يديـه وريقة صغيرة كـأنها رسالة . أحـس الجميع بارتيـاح . . بينما بدت عيناه مليئتين بالذكاء والتوقد ، تساءلت مروة :

ـ من أنت . . ؟ وماذا تريد . . ؟

ـ اسمى مارد . . وأبحث عن« الفارس النادر » . .

وانطلقت الضحكات من الرفاق الأربعة . وود شادى أن يلقى دعابـاته بأنه لـو كان هذا القزم يـدعى ماردا . فكيف يكـون طول المارد الحقيقـى . هنـا اقترب العجـوز من القـزم وربـت على كتفـه وسأله :

ـ ولماذا تريد مقابلة «الفارس النادر» ؟

رد القزم : أريدمقابلته الأن الأمر خطير . .

قال العجوز : أخبرنى فى ماذا تريده . . وربما أساعدك . .

علق القزم : ليس من حقى أن أبلغ الرسالة إلا لصاحبها .

كـان الرفـاق لايـزالون يضحكـون مـن اسمه . ولم يمنعهـم أن يستمروا فى الضحك شىء خاصـة أن أسلوب القزم فى الكلام كان أدعى أيضـا إلى الضحك والسخـرية . هنـا التفت إليهـم « مارد » وقال :

ـ علام تضحكون . . هل لأننا فى ورطة ؟

وسرعان ماساد السكون وردد الجميع معا : « ورطة » . . ثم تساءل مصطفى :

ـ ماذا تقصد ؟

قال القزم بنفس الإصرار : لن أقول شيئا إلا لو قابلت الفارس النادر .

سأله العجوز : هل تعرفه ؟

رد القزم : ربما . . لا . . لا . .

بدا وكأنه كان سيكذب ، لكنه قرر أن يتراجع فى اللحظة الأخيرة ونطق بالصدق . .

قال شادى :

ـ نحن نعرف « الفارس النادر » . . وقد رأيناه . .

رد القزم : لا . . بل أنتم لاتقولون الصدق . .

تدخل العجوز وبكل ثقة قال : لا . . صدقهم . . إنهم يعرفونه وأنا أيضا . .

(٣٨)

قال القزم : لكننى أريده . . فالأمر عاجل . . لقد سرقوا الناقوس الأسود . .

هنا برقت عينا «الفارس النادر» وشرد بعيدا ، وراح يفكر، فهو قد سمع عن هذا المشروع الضخم الذى يكاد يوشك الأقزام على الانتهاء منه . إنه مشروع أسسته الأجيال المتعاقبة رمزا للإرادة والتحدى . تمتم :

ـ ماذا . . الناقوس الأسود ! !

سأل القزم : هل تعرفه ؟

تمتم العجوز وهو لايزال شاردا : من الفارس النادر ؟

رد القزم : إنهم الجنود الملونون باللون الأزرق . .

وكان على العجوز أن يخرج من شروده ، وعلى وجه السرعة راح يستجمع كافة المعلومات القليلة التى أمكنه الحصول عليها . فلاشك أن لقيام هؤلاء الجنود الزرق بسرقة الناقوس الأسود علاقة أكيدة برحلتهم، لذا قال :

ـ آه . . الشعلة فى خطر . .

رد القزم : فعلا ، هذا ماسمعت أحدهم يقوله ، وهم يخرجون من وادينا ، وادى الأقزام .

انحنى العجوز نحوه ، وسأله :

ـ واين توجد الشعلة . .

رد القزم : إنها هناك . . فى جبل النار . .

تساءل العجوز : هل هي بعيدة ؟

هنا ، كـانت مـلامح القـزم قد تغيرت بشكـل ملحوظ ، بينما وقف الرفـاق الأربعة يرقبون ذلك الحوار الـدائر بين العجوز والقزم وكأنهما لاعبان ماهـران يقومان بقذف كرة طاولـة فى ما بينهما هنا ، قال القزم :

ـ لكن ، قل لى من أنت . . هل تعرف «الفارس النادر» فعلا ؟

لم يشأ العجوز أن يرد على السؤال وقال :

ـ هل يمكن أن تدلنى على الطريق . .

رد القزم : ليس قبل أن أقابل «الفارس النادر» .

ربت العجوز على كتفيـه بطريقة جعلت القزم يشعـر كأن هذا الرجل يعرفه منذ سنوات طويلة وكأنه أهل للثقة . فجأة بزغت من بين الأشجار جحافل من الأقزام تحمـل سيوفا قصيرة مصنوعة من الخشب . . راحت تتنامى ، حتى ليخيل للمرء أنها من قوم يأجوج ومأجوج . . لايمكن لأحد أن يعدها .

(٣٩)

وأنطلقت الجحـافل وراء العجوز ، والـرفاق الأربعـة ، أحسوا كأن هـذا الرجـل فعلا لـديه الحل ، وأنـه يعرف الفـارس النادر .

والذى يمكنه وحده أن يستعيد الناقوس الأسود . وساروا معا نحو مجهول لايعرفونه . .

حتى وصلوا بعد ساعات إلى حافة جبل ، وهناك كان عليهم أن يتوقفوا ، فهناك على الجانب الآخر تبدو ملامح جبل النار ، ومن بعيد تنطلق الشعلة الأبدية . . التى يتولد تحتها اللون الأحمر .

فجأة صاح القزم «مارد» ، وقد علت نبرته من الغيظ :

ـ آه . . لقد دمروا الجسر . .

وأشار إلى طرف الجسر المقطوع الذى سقط على الجانب الآخر من الجبل ، وبدا كأن الجنود الزرق قد عبروا فوقه ، ومعهم السيارة الاليكترونية التى يمكنها وحدها أن تحمل الناقوس الأسود . . نظر العجوز إلى الجسر ، وقال :

ـ لقد سبقونا . . ونحن نحتاج إلى شهور لبناء جسر جديد .

قالت عائشة :

ـ ماذا تعتقد أنهم سيفعلون بالناقوس ؟ .

رد العجوز : سوف يصعدون به الجبل ، ويضعونه فوق الشعلة ويطفئونها . فالناقوس مصنوع من مادة بللورية يمكنها أن تحتمل قوة النيران المشتعلة . . ثم سوف تمنع الإكسجين عنها حتى تنطفئ .

وتذكرت مروة التجربة التى درستها فى كتب العلوم التى أثبتت فيها مدرستها أن الإكسجين ضرورى للحياة، وأنه عندما وضع دورق زجاجى فوق إناء به شمعة سرعان ما انطفأت الشمعة بعد نفاد الاكسجين .

تمتم مصطفى : إذن سوف ينالون ما أرادوا . . سوف يطفئون الشمعة وينتهى اللون الأحمر من العالم . .

قال أحد زعماء الأقزام : لكن لماذا ناقوسنا ؟

ردت عائشة : الناقوس مهم . . وايضا اللون الأحمر . .

هنا تدخل القزم «مارد» قائلا :

ـ لكنهم لن يصلوا قبلنا . . فلدىّ فكرة جهنمية . .

(٤٠)

وسرعان ماراح الأقزام ينفذون فكرة « مارد » الجهنمية .

بدأ كل منهم يلف جسده حول زميله بواسطة السيف الخشبى الذى يحمله . وينتصب فى الهواء وكأنه يجدل نفسه معه . وسرعان ماتكونت مجموعات كبيرة من الأقزام الذين كان عليهم صناعة جسر بشرى ضخم ، يمكن لبقية جحافل الأقزام أن تمر من فوقه ويتم إنقاذ الناقوس فى الوقت المناسب .

كـانت أعـدادهم كبيرة، لكـن المهـم هو سرعـة إيقاع العمـل وسرعة تنفيذه . . بدا الحماس فى عيونهم وهـم متماسكون وقد تحولوا إلى جديلة ضخمة من الأقزام تماسكـت فى ما بينها وبدأت تشكل هيكل الجسر البشرى . .

بدا المنظر شديد المهابـة ، وفى ساعة واحدة كان هناك عشرات الألوف من الأقزام معلقين بين فتحتى الجبلين . والآن على العجوز ورفاقه الشبـاب أن يمروا إلى الناحية الأخرى إلى حيث يـوجد جبل النار الذى تعلوه الشعلة .

راح مصطفى يدوس بقدمه فوق الأقـزام فأحس بقشعريرة . . فتراجع . . وقال :

ـ لا ، لايمكن أن أدس فوق البشر . .

صاح قائد الأقزام : إنها مهمة إنسانية مقدسة . .

ردت عائشة : لكن . .

هنا ، وبـدون سابق إنذار انطلقـت أغنية مليئة بـالحماس فوق الجسر ، راح يرددهـا الأقزام معـا . . مما جعـل العجوز يحس أنـه سوف يسبب السعادة للجميع لو سار فوق هذا الجسر البشرى .

وراح يطأ بقدميه فوق الجسر وتشجع مصطفى ففعل مثله ، ثم لحق بـه كـل مـن عـائشة ومـروة وشـادى . وانطلقـت الأغنيـات

الحماسية. وراحت جيوش الأقزام تنظم نفسها كأنها تستعد لعبور الجسر بدورها .

لكن، فجأة حدث مالم يكن فى الحسبان ، فعلى الطرف الآخر من الجبل، وعند حافة الجسر ظهرت مجموعة من الجنود الزرق ، كان من الباد عليهم أنهم سيد مرون الجسر بأى ثمن .

(٤١)

وجد العجوز نفسه ينطلق نحو الناحية الأخرى من الجسر، وهو يصرخ فى الرفاق أن يتبعوه بسرعة ، وراح كلما انطلق جاريا ينسلخ من شيخوخته ، وتدب فيه دماء الشباب ، ويصبح عملاقا يمسك بسيفه ويصرخ بأعلى صوته ، وعلى الطرف الآخر من الجسر رأى رجال «الشبح الأزرق» فارسا عملاقا قادما نحوهم، فجأة صاح واحد منهم بدا كأنه هو قائد فصيلتهم :

ـ اضربوا أطراف الجسر بسرعة . .

وبدت المواجهة حاسمة وأسرع الفارس النادر بكل قوته كى يلحق بخصومه قبل أن يتمكنوا من الجسر ، وأن يمزقوا أطرافه فتكون الكارثة . وبسرعة راح يقفز فى الهواء قبل أن يتمكن عشرة من الجنود من قطع الأحبال التى صنعها الأقزام .

وعلى الطرف الآخر من الجسر حدث أيضا مالم يكن فى الحسبان، حين صاح قائد الأقزام :

ـ انطلقوا من هنا . .

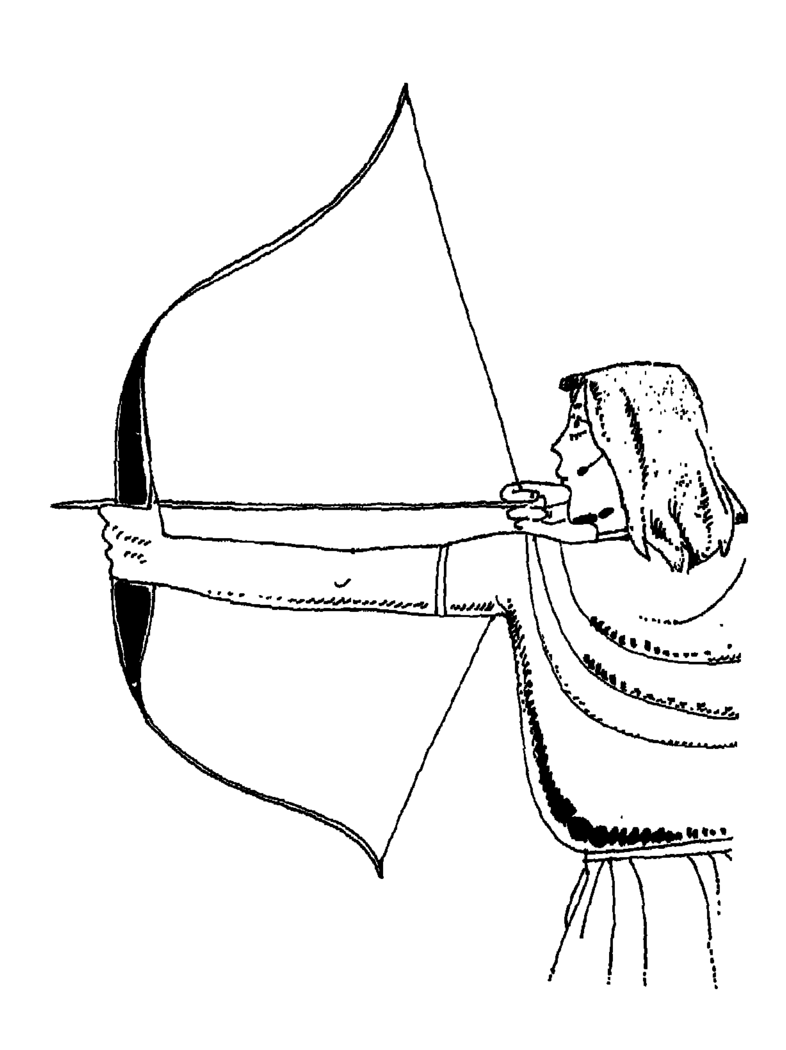
وراح يشير إلى طرف الجسر الذى إلى جواره ،وبسرعة أطلق الأقزام الذين فى هذه الناحية العنان لايديهم وطاروا فى الهواء معا متكاتفين كأنما هم مربوطون بحبل من المطاط الذى انطلق بهم فى السماء، ثم رمى بهم فوق الجنود الزرق .

كان هذا مشهدا نادرا ليس له مثيل .

فقد تناثر الأقزام فوق خصومهم . وراح كل منهم يمسك برقبة جندى أزرق ،وبكل مهارة راح يدفع يده فى خوذته فيحيل عنه الرؤية ويفقده كل مقاومة . ويسيطر عليه تماما .

كانت معركة مثيرة ويالها من إثارة . فقد بدت الغلبة العددية للأقزام الذين أحسوا أنهم فى معركة مصيرية، وأن عليهم أن ينتصروا بأى ثمن ، من أجل استعادة الناقوس الأسود .

وماهى إلا دقائق قليلة إلا وسيطر الأقزام على تلك الفصيلة من الجنود الزرق ، بينما نجح الفارس النادر ورفاقه فى اجتياز هذا الحاجز البشرى الهائل وهو يهدف إلى الوصول إلى قمة جبل النار ،



حيث يكاد جنود آخرون من الجيش الأزرق أن ينجحوا فى الصعود بالناقوس الاسود نحو الشعلة المقدسة .

(٤٢)

إنه سباق مع الزمن وسباق مع الإرادة والقوة .

وعلى الفارس النادر أن يصل إلى هناك بأى ثمن، وبأسرع مايمكن، فقد نجح بعض جنود الجيش الأزرق من صعود المنحدر الشديد الميل بتلك السيارة الاليكترونية المجهزة خصيصا لهذا الغرض، وفوقها راح الناقوس يهتز من شدة الانحدار .

الآن هاهم يقتربون من الشعلة المقدسة فوق جبل النار . وهاهى السيارة الاليكترونية تتحرك من تلقاء نفسها نحو هدفها ، كأنها تعرف الطريق جيدا ،وتعرف ماسوف تفعله بدت مجهزة لمواجهة تلك الحرارة الشديدة التى تعلو جبل النار بينما وقف الجنود الزرق يحوطون المكان بأجسادهم كأنهم مستعدون أن يصدوا السيارة لو انزلقت من فوق المنحدر .

إنها لحظات عصيبة للغاية . . فالسيارة الالكترونية تتقدم وهاهو « الفارس النادر»يستعد لاقتحام المغامرة . . رغم أن الجنود الزرق لم ينتبهوا لوجوده بعد . .

فجأة وقف ثم ثنى قدمه اليسرى وجلس القرفصاء ، وأخرج من مخلاته قوسا ضخما سرعان ماراح يضبط سهمه فيه ، وراح يصوبه نحو السيارة كأن عليه أن يفعل شيئا .

فجأة التفت أحد الجنود وصاح :

ـ انظروا . . اقتلوا هذا الرجل . .

وقبل أن يلتفت الباقون إليه كى يصوبوا أسلحتهم نحوه ، نجح «الفارس النادر» فى أن يطلق السهم الذى أحدث صوتا مدويا قويا وهو ينطلق فوق رؤوس الجنود ، فانحنوا جميعا وقد اعتراهم خوف ملحوظ من شدة صوته ، ثم انطلق السهم نحو أعلى المنحدر بسرعة هائلة ، وانغرس فى الإطار الخلفى للسيارة الاليكترونية . وقبل أن ينغرس السهم بثانية واحدة كان السهم الثانى ينطلق بدوره ، وراح يخترق الإطار الأيسر الخلفى .

وسرعان ماتوقفت السيارة عن التقدم . ثم ثبت مكانها قبل أن تنطلق نحو أسفل المنحدر .

كان المشهد مهيبا ، فالسيارة بالغة الضخامة والقوة ، وكذلك الناقوس الذى أخذ يهتز بشدة وهو يتحرك فوق السيارة المنزلقة والتى كان مجرد انزلاقها سببا كافيا لإثارة الرعب فى قلوب الجميع . .

(٤٣)

تعالت الصرخات والسيارة تدفع أمامها هذه الجحافل الهائلة من الجنود الذين أسرعوا يولون الفرار، بل إن بعضهم اختار أن يلقى بنفسه من أعلى المنحدر الجبلى، حتى لاتدهمه السيارة الاليكترونية وهى التى يمكنها أن تدهم كل شىء أمامها .

انحنى الأقزام أرضا وقد اغمضوا عيونهم خوفا ورعبا، فهم يعرفون جيدا أن الناقوس البللورى يمكنه أن يتحطم تماما لو سقط فوق الأرض . لذا راحوا يبتهلون إلى الله أن ينقذ ناقوسهم من أى خطر . .

وبكل يديه القويتين وقف «الفارس النادر» خلف إحدى الأشجار الضخمة وراح يلف ذراعيه حول رفاقه الأربعة وهو يتمتم :

ـ لاتخافوا أيها الشجعان . المهم أننا أنقذنا الشعلة فى اللحظة الأخيرة . .

لكن ، هل تم إنقاذ الناقوس ؟ ففجأة ، قفز من فوق السيارة الالكترونية ، وارتفع فى الجو ثم سقط فوق الأرض محدثا صوتا مرعبا ومحدثا فجوة ضخمة سرعان ماتدفقت منها الألوان الحمراء .

راحت القلوب تدق مع كل حركة من حركات الناقوس خاصة

قلوب الأقـزام ، فلاشك أن مثـل هذه الصـدمة سوف تسـاعد فى تحطيـم أقوى نواقيس العالم . كما دقـت قلوب الرفاق الأربعة بشدة وهم يـرون الألوان الحمراء تتـدفق مـن الأرض ، صاحت عـائشة موجهة كلامها إلى «الفارس النادر» :

ـ انظر . . اللون الأحمر . .

ربت الفارس على كتف الرفاق ، وقال :

ـ انظروا . . إنها تدابير القدر . . فلولا سقـوط الناقوس ماظهر اللون الأحمر . إنه يختفى هنا تحت السطح .

علق شادى : لاشك أن استمرار الشعلة يعنى أن اللون الأحمر يتدفق . .

فى تلك اللحظات تدفقت جموع الأقزام الذين جاءوا فوق جسد بشرى آخر صنعوه بأيديهم من أجل أن يروا ناقوسهم الذى لم يصبه سوء . . فانحنوا ساجدين لله شاكرين إياه . . واستغرقوا فى صلاة الشكـر بعض الـوقـت بينما تقدم الفـارس النـادر ليلتقط إحـدى بقعات الضوء الأحمر الطافية فوق سطح الألوان . . وراح يدسها فى داخل الأنبوبة التى أعدها خصيصا لهذا الغرض .

كان كل همه أن يفعل ذلك قبل أن ينتهى الأقزام من الصلاة . . حيث قرر الرحيل . . مرة أخرى . .

(٤٤)

هناك . . فى المدينـة الزرقـاء . . كانـت هناك ألـف حكايـة ، وحكاية غاضبة . . وعلى شاشة التلفاز ظهر «الشبح الأزرق» ثائرا وهو يردد كلمات قليلة :

ـ سـوف أخرج بنفسى . سوف أمنعـه من الوصول إلى اليـنـابيع الصفراء . .

وخرج من القـاعة . . لم يعرف أحد ماذا سيفعل ، خـاصة أنه اختفى من المدينة وحده ، ولم يطلب أن يخرج معه جنوده . ورجح جميع المقربين منه فى مقرة أنه سوف يجابه وحده قوة الفارس النادر ، خصمه اللـدود ، وأنه سيسعـى حتما من أجـل التخلص منـه فهو الشخص الـوحيد من أبطـال مدينـة الحكايات الـذى استطاع أن يتصدى لـه . . وأن يقف لـه بالمرصـاد ، وأن يعمل على أن يجعلـه فاشلا فى كافة خططه .

الآن ستكون المواجهة حاسمة بين الطرفين . لكن . هل يمكنه التغلب فعـلا على خصمه وهـل يعد لـه خطة جهنميـة للتخلص منه ، وهل ستنجح الخطة . . ؟ تلك هـى الأسئلة التى ظلت حتى الآن بلا إجابات . .

قد لانعـرف إجابات هذه الأسئلـة بسهولة ، خاصـة أن الأمور ازدادت غموضا بعـد أن خرج الشبح الأزرق من مـدينته . وأثيرت

عشرات الأسئلة الجديدة ، خاصة حيث تقع الصحراء العظمى .
حين صحا سكانها هذا الصباح ليكتشفوا أن اللون الأصفر قد اختفى تماما وأن الرمال قد أصبحت خضراء اللون . وأن كل شىء قد اكتسى بهذا اللون النادر، خاصة فى الصحراء .

كانت صدمة شديدة لسكان الصحراء من البشر والحيوانات والطيور. فماذا حدث بصحرائهم الغالية وماذا قلبها رأسا على عقب بين ليلة وضاحا ، هل يمكن أن يكون ذلك حقيقة . أم إنه حلم . . وماذا يعنى أن تتلون الصحراء فجأة باللون الأخضراء ؟

وعلى الفور اجتمع رؤساء القبائل من كل مكان ،وجاءوا من أجل التشاور ، ركب كل منهم جملا غريب الشكل وجاءوا مسرعين ليحضروا الاجتماع الذى دعا إليه شيخ القبائل وفى خيمته الواسعة جلس الجميع يتشاورون . .

اتفق الجميع أن ماحل بصحرائهم يعتبر كارثة بكافة المقاييس . . . فالصحراء لاتكون كذلك إلا إذا كانت رمالها صفراء وامتلأت بالكثبان المتحركة ،وبدت مترامية الأطراف ساخنة ملتهبة . تعرف الفصول الأربعة فى نفس اليوم حيث تهب الرياح ويبدو الجو حارا ،وأحيانا يسقط المطر .

وقرروا أن يبحثوا عن شخص ما . . يساعدهم فى حل ذلك اللغز .

(٤٥)

وقف العجوز أمام صحراء خضراء لم يرها قط من قبل تمتد أمامه حتى أطراف البصر . ورددت مروة :

- إنها صحراء غريبة الشكل !!

قال العجوز متسائلا : ألا تشعرون أنها أشبه بشخص زنجى ، حاول أن يدهن وجهه بالطلاء الأبيض ، فلم يصبح أسود ولا أبيض .

تساءلت عائشة ضاحكة : هل تقصد مايكل جاكسون ؟

رد العجوز : بالفعل . . إنه هو . . ترى ماذا حدث ؟

تدخل شادى : وقال : نحن نبحث عن ينابيع اللون الأصفر، وأغلب الظن أنها ليست هنا . .

لم يشأ العجوز أن يعلن مجددا أنه لايعرف الطريق ، وأنه ينتظر حدوث معجزة جديدة تدله على بداية الدرب إلى حيث توجد الينابيع الصفراء ، وفى هذه اللحظة سمع الرفاق لغطا وأصواتا متداخلة معا .

قالت مروة : أغلب الظن أنهم أبناء هذا المكان . .

ضحك مصطفى وقال : أكيد سيكون لونهم أخضر .

وهنا ظهر زعماء قبائل الصحراء العظمى ، كانوا يقتربون من

المكان الـذى يوجد فيـه العجوز رفاقه وومـا إن أصبحوا أكثر قـربا حتى قال أحدهم :

ـ أنتم غرباء . . لاشك .

قال العجوز : يبدو أننا ضللنا الطريق . .

رد رجل آخر : ونحـن أيضا . . لقد صحونا فجـأة لنجد بلادا غير البلاد . .

سأل العجوز : ماذا تقصد . . ؟

قال واحد ثالث من زعماء القبائل : جميل والله أن تصحو فتجد بيتـك أخضر . والجبال أيضا خضراء . . . كـأنها شخـص ماقـام بدهانها .

ردت عـائشة : هـذا شيء جميـل فعـلا . فلو ذهبـت الآن إلى مدينة «البرقوق الطازج» . .

ثم سكتت فجـأة ، فقد نظر إليها العجـوز نظرة ذات معنى .

هنا تساءل شادي :

ـ هل كان لهذا المكان لون آخر ؟

رد أحـد الرجـال : طبعـا . . إنها الصحـراء . . وهل تصبـح الصحراء صحراء إلا بلونها الذى عهدنا ه عليه وأباؤنا وأجدادنا .

سأل العجوز : ولكن ما الذى أصابكم . . هل هى لعنة . . ؟

(٤٦)

رد الرجل : والله يا أبى ، نحن لانعرف ماذا حدث بالضبط ؟

سأل العجوز : بالتأكيد لديكم كنوز فى هذا المكان . .

قال الرجل : كل إنسان يعتبر بيته كنزه الخاص ، فهو ينام فيه ، ويشعر بالراحة . . والصحراء بيتنا وغطاؤنا . .

وسأل العجوز مجددا : ألا توجد لديكم كنوز . . ذهب . . . أحجار كريمة . . بترول . .

رد الرجل الآخر : ليس بالمعنى المفهوم . . صحيح أن لدينا البستان الأصفر . لكن لا أحد يعتقد أنه يساوى الكثير . .

ثم راح الرجل يتحدث عن البستان الأصفر ، إنه ليس سوى بستان أخضر صغير وسط الصحراء ملئ بأشجار الليمون البنزهير. التى لايصيبها الجفاف طيلة العام . وغالبا مايذهب البعض إلى هناك من أجل التريض ، أو الراحة . لكن يبدو أن الناس أصابها الملل من الذهاب إلى البستان ، فهو بعيد ولايفكر أحد فى الذهاب لمشقة السفر إليه . .

فكر العجوز فيما سمعه . وراح يسترجع الحكايات الأسطورية التى سمعها عن منابع اللون الأصفر فالليمون البنزهير أصفر اللون . ولاشك أن وجود هذا البستان فى تلك الصحراء يعنى أن هناك شيئا مايجب معرفة سره .

سأل العجوز :

ـ من هو آخر شخص ذهب إلى هناك ؟

رد رجل من زعماء القبائل : أنا . . آخر مرة كنت هناك قبل عشرات السنين ، ورأيت شيئا غريبا ، إنها ثمرة مايتساقط منها عصير أصفر اللون لم أر مثله فى حياتى .

اقترب منه العجوز ودقق فى وجهه كأنه يستفسر منه عن حقيقة مايقول . قال الرجل :

ـ أجل . هذا مارأيته . .

سأل العجوز : هل فكر أحد عن وجود علاقة ما بين ما أصاب صحراءكم وبين وجود هذا البستان . . ؟

ولم يكن هناك رد قاطع فى هذا المضمار .

فى تلك اللحظات أحس العجوز بعدم ارتياح لهذا الرجل الذى حدثه أنه زار البستان ، كان ينبعث من عينيه لون غريب ، ولاحظ أن ملابسه تختلف كثيرا عن ملابس بقية زعماء القبائل . وكأنه يتلفع بعباءة فوق ملابسه الزرقاء .

(٤٧)

قال العجوز وهو يوجه كلامه إلى رفاقه :

ـ هيا بنا يا أصدقاء . . علينا أن نصل إلى البستان قبل رجال «الشبح الأزرق» .

سأل أحد الرجال :

ـ الشبح الأزرق . . ماذا تقصد ؟

رد العجوز : إنه الرجل الذى لوّن هذه الصحراء . . علينا أن نذهب الآن مع دليلكم إلى حيث يوجد بستان الليمون البنزهير .

واتفق الرجال أن يرسلوا دليلا شابا مع العجوز كى يتوجه بهم إلى حيث يوجد البستان وسرعان ماجاء فريد ، شاب من الصحراويين ، تبدو الجدية فى عينيه والإصرار فى ملامح وجهه ولكنه ابدى قلقه قائلا :

ـ لم أعد دليلا ، فقد تاهت الصحراء التى كنت أعرفها . .

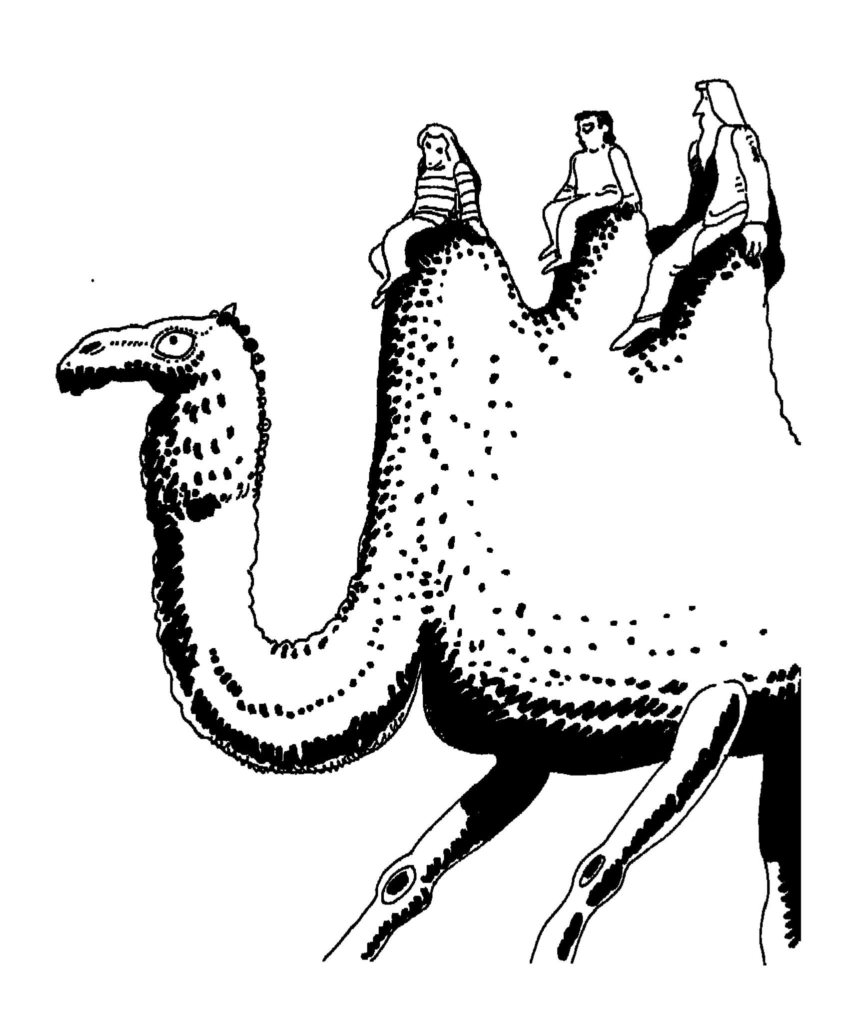
قال العجوز :

ـ حسنا . لانريد شخصا بعينه ، بل نريد جملا أو أكثر . . أكيد إنه يعرف الطريق . .

وجاء الرد من الرجل الذى تحدث بأنه زار البستان :

ـ ليس لدينا سوى الجمال ذات السنام الثلاثة . .

ضحك العجوز وقال :



ـ رائع . بالتأكيد سيكون أسرع . .

وسرعان ماظهر الجمل الغريب الشكل ، إنه ذو ثلاثة أسنام وتبدو أقدامه الأربعة قوية ، قال شادى :

ـ إنه رشيق . .

قال الرجل : سوف يقودكم إلى حيث تشاءون . . إنه يتحرك بسرعة القطار . .

تمتم العجوز : حسنا ،نحن فى عجلة من أمرنا . .

. وسرعان ماقفز العجوز فوق السنم الثالث وانحشرت مروة وعائشة فى السنم الثانى أما مصطفى وشادى فركبا فوق السنم الأول .

سأل احد الرجال :

ـ هل الأمر مهم لهذه الدرجة ؟

رد عليه العجوز : طبعا . . لنا ولكم . . من أجل إستعادة لون الصحراء مرة أخرى . .

وانطلق الجمل سريعا ، بينما راح الرجال يلوحون لهم ، ومن بينهم ذلك الرجل ذو العينين الحمراويين الذى خلع عباءته ، فبدت ملابسه الزرقاء والذى سرعان ما اختفى بعد أن قال لنفسه :

ـ لقد حانت نهايتك أيها العجوز . . النادر . .

(٤٨)

لم يكن ذلك الرجل بالطبع سوى «الشبح الأزرق» الذى اندس بمهارة وسط زعماء القبائل ، وجاء لمقابلة العجوز الباحث عن ينابيع اللون الأصفر ، وذلك من أجل أن يجعله يضل الطريق من ناحية ولعله يدبر له مؤامرة وخيمة العواقب من ناحية أخرى . .

إذن ، فالعجوز ورفاقه من الشباب فى خطر، ولعل ذلك الجمل ذا السنام الثلاثة مندس أيضا كى يساعد فى تضليل الركب الصغير تحت قيادة العجوز .

انطلق الجمل بسرعة جبارة يخترق الصحراء الخضراء كأنه يعرف طريقه جيدا . بينما لمعت عينا العجوز الذى تعمد أن يركب فى السنم الثالث ، من الخلف . حتى يمكنه أن يرقب كل شىء حوله ، وخاصة أنه أخرج مرآة الذاكرة وراح يديرها حسبما يريد فأخذ يسترجع فيها صورة ذلك الرجل الذى جاء له بالجمل ، وقام بتكبير الصورة على سطح المرآة وتأكد أن هناك شيئا وراء هذا الرجل .

تمتم :

ـ إنه « الشبح الأزرق » . . لقد جاء بنفسه . . أكيد ستكون المواجهة شديدة .

حاول أن يسيطر على الجمل لكنه كان ينطلق بقوة ذاتية كأن شخصا ما يوجهه حسبما يشار اليه أو كأنه مبرمج للسير فى هذا الطريق .

وبعد ساعة ونصف تقريبا اقترب من البستان المنشود . . صاحت عائشة قبل أن يقتربوا منه :

ـ أكاد أشم رائحة الليمون . . إنها نفاذة وقوية . .

وتدخلت مروة قائلة :

ـ إنه ليمون طبيعى . . رائع . . .

هنا برقت عينا العجوز ، وسرعان ماأدرك أنهم قد دخلوا فخا منصوبا لهم . فالبستان الذى يفرز اللون الأصفر لاتنطلق منه رائحة نفاذة . لأن الليمون البنزهير أشبه بثمار الليمون الحقيقية لكنه شىء مختلف تماما .

ولكن ، بدا أن الوقت قد فات للفهم ، فسرعان مادخل الجمل البستان وسرعان ما انغلق المكان عليهم . .

(٤٩)

صاح العجوز :

ـ خذوا حذركم . . اقفزوا . .

ولكن أحـدا لم يقفز ، فقـد راحت سنـام الجمل تـرتفع إلى أعلى بسرعةوأحس الـرفاق أنه من الصعـب أن يقفزوا إلى الأرض ، راحوا يصرخون من الدهشة ، وتساءل كل منهـم :

ـ ماهذا . . إنها مؤامرة ! !

وبينما راح الجمـل ينتفش ويكبر أكثـر فـأكثر ، أسرع العجـوز بالـوقوف فوق طرف السنـم ، وراح يمسك سيفه الذى ظهـر فجأة وأخذ ينسلخ من شيخوخته حتى تحول إلى الفارس النادر . .

صاح :

ـ الويل لمن يخترق الفارس النادر .

ورغـم ذلـك لم يتوقـف الـرفـاق عن الصراخ . وبسرعـة دفـع الفارس سيفه العملاق فى جسم الجمل الـذى كان قد بلغ فى تلك اللحظات أقصى حالات التضخم ، وكـأنه سوف ينفجر بين لحظة وأخرى . .

أدرك فجأة أن هذا الجمل ليس سوى كائن صناعى من اختراع ذلك الشبح الأزرق ولذا لم يتوان عن ضربـه بالسيف ضربة واحدة أحدثـت ثقبا فى سنمه الثـالث وسرعان مـا انطلق منها هـواء مفرغ أحدث صوتـا . . وراح الرفاق يقتربون مـن الأرض مرة أخرى . .

هنا صاح العملاق :

ـ اقفزوا . . بسرعة . .

وقبل أن يقفزوا انطلقت من داخل الجمل انفجارات هائلة ، كأن هناك قنبلة موقوتة بالداخل .

هنا راح الرفاق يتكورون وهم يحاولون أن يتفادوا اثر الانفجارات عن أجسادهم ، وبدا أن الأمر خطير فعلا ، هنا أمسك الفارس سلاحه ، ورفعه فى الهواء . وراح يهوى به فوق إحدى القنابل المتفجرة . وسرعان ما أسكتها . ثم راح بكل قوته يجرب الأمر فى بقية القنابل التى بدا كأنها لن تكف عن الانفجار .

(٥٠)

فجأة ساد السكون وكأن شيئا لم يحدث بالمرة . .

ووقف الرفاق أمام الفارس النادر يلهثون وراحت عيونهم تتساءل فيما بينها :

ـ هه . . ماذا حدث بالضبط ؟

قال الفارس : لسنا هنا فى البستان الحقيقى ؟

تساءلت عائشة : كيف . فأنا أشم رائحة الليمون . . إنها نفاذة . الضوء ليست له رائحة . . والألوان تتولد دائما من الضوء .

ولم يفهم الرفاق شيئا ، ولكنهم ساروا خلفه ، رأوه يضرب بسيفه

إحدى الثمار ، وسرعان ما انفجرت فى وجهه فانحنى ونجح فى أن يتفاداها ، نظرت مروة إلى الأرض حيث سقطت النار ، وأحست بالجزع وقالت :

ـ ياإلهى . . إنها ليست ثمرة ليمون . .

هنا أخرج الفارس مرآة الذاكرة ، وقال : انظروا هنا . .

وسرعان مانظروا . . وكان المنظر شديد البشاعة ، حيث بدت أشياء غريبة تنعكس فى المرآة . . قال شادى :

ـ إنها ليست ثمارا . . نحن إذن فى المكان الخطأ . .

صاح مصطفى : علينا أن نغادر هذا المكان .

هتفت عائشة : الحق ، إنها تكبر . ستنفجر .

وارتمى الجميع أرضا . فقد انفجرت إحدى الثمار المزيفة وتناثرت من حولها شظايا غريبة الشكل كانت كافية أن تحرق أى جسم قريب منها . وسرعان ما بدأت النار التى ملأت الأشجار فى الانفجار بدورها . وامتزجت صرخات الخوف ، بأصوات الانفجار ، وصياح «الفارس النادر» الذى تمدد أيضا فوق الأرض وقال :

ـ سدوا آذانكم .

صرخت مروة : سوف تهلك . .

قال بكل حزم : قلت سدوا آذانكم . .

(٥١)

وانفجرت النيران فى البستان المزيف ، وكانت كلما انفجرت ثمرة تحدث ضجة عالية وتهتز الأشجار والأرض ، وبناء على نصيحة الفارس كان عليهم أن يغلقوا أعينهم ، وأن يسدوا آذانهم حتى انتهى الانفجار . .

وقف« الفارس النادر » مرة أخرى ، وقال :

ـ لاتخافوا . . الثمار المزيفة لاتنتج سوى الجعجعة . جعجعة بلا طحن . .

قبل أن ينتهى من جملته صرخت عائشة :

ـ انتبه . . سيأكلك .

وبكل سرعة ، التف الفارس النادر حول نفسه مرتين ، وبقوته الخارقة دفع سيفه كى يقطع الشجرة التى كانت خلفه ، والتى كانت تتحرك نحوه وقد فتحت جوفها وكأنه تحول إلى فم به عشرات الفكاك المفترسة التى يمكنها أن تفتك به فى لحظات .

فجأة أصبح نصل سيفه حادًا للغاية وقويا ، واستطاع أن يقطع جذع الشجرة الضخم الذى يصل قطره إلى مائة مترًا إلى قسمين .

وقبل أن تسقط الشجرة هتف شادى :

ـ الحقى ياعائشة . . الحقى يامروة . .

وقبل أن تصرخ الفتاتان ، اندفع شادى يغرس سيفه الذى ظهر فجأة فى يده فى الشجرة التى كادت بدورها ان تفتك بالفتاتين ، وفجأة قبضت الشجرة على سيف شادى وكأنها تود أن تحتفظ به . . صرخ شادى فى مصطفى :

ـ اضربها . إنها قوية . .

فى تلك اللحظات ، اندفع الفارس كى يقطع جذوع كافة أشجار البستان التى تضخمت عن غير انتظار . وتحولت إلى وحوش كاسرة تود الفتك بهم جميعا .

بدت المعركة بالغة الشراسة بين الأشجار وبين فرقة الفارس النادر الصغيرة . . وأحس كل من شادى ومصطفى بالحماس الشديد وهما يقطعان جذوع تلك الأشجار المزيفة ويتخلصان منها ، أما «الفارس الناد»ر فكانت المواجهة معه أشد بأسا . . لكنه لم يعرف اليأس أبدا . .

(٥٢)

استمرت المعركة طويلا . وانتهت حين تحول هذا البستان الأخضر المزيف إلى كومة من الفروع الصفراء التى بدت فجأة وكأن الجفاف أصابها منذ آلاف السنين .

راحوا جميعا يتنهدون . وهم ينظرون إلى بقايا المعركة ، قالت عائشة :

ـ يالها من معركة شرسة حقا . .

قال العجوز الذى اعاد مرآة الذاكرة إلى مخلاته البيضاء وكأنه ينبه الاصدقاء إلى شيء هام :

ـ لقد قارب اليوم الثالث على الانتهاء ويجب أن نعود .

علقت عائشة : لكننا لم نأت بعد باللون الأساسى الثالث . . اللون الأصفر . .

قال العجوز : غدا يجب أن يسقط المطر ويظهر قوس قزح . . والرحلة طويلة .

ردت مروة : لن نعود إلا ومعنا اللون الأصفر . . يجب أن نخرج من هنا حالا . .

بدت اللحظات حرجة وكأن الوقت يمر مضادا لرغبة هذا الفريق ، فقد قارب اليوم الثالث على الانتهاء وتمكنوا من تدبير بقعة ضوء زرقاء وأخرى حمراء ، ويمكن بهما استعادة بعض الألوان . . لكن اللون الأصفر بالغ الأهمية لاستعادة قوس قزح الضائع أو شبه المخطوف .

ما إن خرجوا من البستان المزيف حتى وجدوا أنفسهم فى مكان

غريب لم يلحظوه حين دخلوا . فقد شـاهدوا سبعة أبواب متشابهة يؤدى كل واحد منها إلى بستان كما هو واضح من اليفط المعلقة فوق كل باب . .

رد مصطفى :

ـ يبدو أننا سندور فى حلقة مفرغة . .

تمتم العجوز : لن نخرج من هنا بسهولة . . علينا دخول بوابة واحدة من هذه كى نخرج إلى الطريق الصحيح . .

تساءلـت عائشة : لكـن كيف يمكـن أن نعرف بوابـة البستان الحقيقى . ؟

علقت عائشة : أن نجرب حاسة الشم . .

فى تلك اللحظات تحرك شىء فوق الرمال الخضراء وراح ينفض عن جسده العملاق ، وكان غريب الشكل حقا . .

(٥٣)

راح يكبر ويكبر ، كان حيوانا أشبه بالتمساح ، له أسنان قوية فى فمـه ، ولكن يـديه أشبـه بيـدى غوريلـلا ضخمة يمسـك بها مسدسا ذا ثلاث فوهات . راح يشهره فى وجوه الرفاق ، ويقول :

ـ من يأتى هنا لايخرج إلا بعد أن يرد على السؤال الخالد .

حاول العجوز أن يحمى الرفاق خلفه ، وأن يتصدى لهذا الحيوان

الضخم والذى يشهر مسدسه نحوه . . قائلا :
ـ وماذا يحدث لو لم نعرف الإجابة . ؟
رد الحيوان : تموتـون جميعا . . وتـدفنون هنـا . . تحت الرمـال الخضراء . . هه . . مستعدون . ؟
مط الجميع شفاههم مستسلمين وقالوا معا :
ـ نعم مستعدون .
فرد الحيـوان قامته ثم فتـح فمه كأنـه يؤكد أن أسنانـه كفيلة أن تقوم بالواجب حينما يفشلون فى الإجابة . . وسأل :
ـ لماذا لانعتبر الأبيض ولا الأسود من الألوان.. ؟
وسادت لحظـة صمت . . وعلى الفـور لمعت أسـارير الحيـوان كأنـه واثق بالفعـل أنهم لن يعرفوا الإجـابة واستعد لأن يتكلـم وقد غمرته الفرحة ، لكن شادى قال :
ـ هذا أمر سهل للغاية . . الأبيض لأنه يعكس كل الألوان . . ويتعامل معها . . إذن فهو ليس لونا . .
ورغم هذا أحس الحيـوان بالفرحة وانفرجت أسـاريره العريضة قائلا :
ـ رائع . .
هنـا أدرك الجميـع أن الإجابـة كـانـت سليمة . ولـذا سرعـان ماتـدخلت مروة ، وقـالت بكلمات سريعة وكـأن الكلمات ستضيع منها :



ـ أما الأسود فإنه يمتص كـل الألوان ، هو إذن خليط من كافة الألوان . ولذا فهو ليس لونا . .

وانفرجت الأسارير العريضة للحيوان وردد :

ـ رائع . . الآن يمكنكم دخول البستـان الحقيقى . . ومسموح لكم أن تأخذوا بقعة الضوء الأصفر . .

وهلل الأصـدقاء من الفرحة وراح العجوز يربت على كـل من شادى ومروة ، واستعد الجميع لدخـول بوابة البستان . لكن فجأة صرخ الحيوان :

ـ لا . . الأشرار لايدخلون البستان . .

(٥٤)

تراجعوا قليلا . وأحسوا بالوجل والخوف . . رد العجوز :

ـ ليس من بيننا أشرار .

قال الحيـوان : بل هنـاك شرير ، انه واحـد منكم ، ويـرتدى عباءة غريبة . . إنه هناك . . هل كان معكم ؟

رد العجـوز : لا . . إنـه الشبـح الأزرق بـالتـأكيـد . . إنـه الشخص الذى يعرقل علينا رحلتنا . .

تمتـم الحيوان بـأسـى . . لقـد دخل . . لا أستطيـع أن أمنـع الأشباح . وسكت قليـلا ، ثم أكمل : خسارة . . فهـذا البستان

لايدخله الأشرار . . إذن فهذا الشبح سوف يفعل شيئا شريرا . . خسارة . .

قفز العجوز من مكانه وانطلق نحو الباب بكل سرعة، راح ينسلخ من شيخوخته وقد ملأه العزم والإصرار أن يلحق بالشبح قبل أن يفعل شيئا يندم عليه الحيوان . أو يندم عليه الجميع، ردد العجوز بعدة أصوات متباينة الترنيمات قبل أن يدخل البستان ويتحول إلى الفارس النادر :

- لاتقلق . . سوف ألحق به . .

انطلق بسرعة ، وبسرعة شديدة ، وهرول ناحية الشجرة العملاقة التى فى وسط البستان ، إنها شجرة ليمون جميلة ، لاتنطلق منها روائح الليمون المعهودة ولكن هناك ثمرة واحدة فقط ، تتدلى من أعلى الشجرة ، وتتساقط منها بقع الألوان التى تثقب الأرض وتسرى هناك فى قنوات، تتسرب بدورها إلى بقية أنحاء الدنيا حيث ينتشر اللون الأصفر .

فجأة رأى الثمرة تهتز كأن شخصا قد تمكن منها ويسعى لأن يقتطفها .

صرخ الفارس النادر وهو يوجه مرآته نحو الشجرة :

- أيها الأزرق . . أنا هنا . .

وبكل سرعة راح يلتقط نقطة من البقعة الضوئية الصفراء على

سيفه مـالبثت أن انتشرت ، وتكاثرت بـواسطة الضوء الـذى سقط عليها من مرآة الذاكرة ، وبكـل قوة أطلق اللون الأصفر فى الفضاء فطار ووقع فوق جسد الشبح الخفـى وسرعان ماراح يجسد الأماكن التى سقط عليها جسد الشبح . .

(٥٥)

صرخ الشبح الأزرق :

ـ أيها الشرير اللدود . . لن تنال منى أبدا .

وبكل قوته راح «الفـارس النادر» يضرب بسيفه فى الهواء ليثبت لخصمه أنه قادر أن يمزقه إربا ولكنه لايميل أن يفعلْ ذلك ابدا . . ردد الفارس :

ـ استطيـع الآن أن أشطر نصفـك الثانـى كى يبقـى اخضر إلى الأبد . .

كان نصفه الظـاهر الآن قد تحول إلى اللون الأخضر وذلـك تبعا لمزج بقعة الضوء الصفراء مع جسـده الأزرق . . أحس الشبح بأن الهزيمة قد لحقت به فصرخ وهو يكاد أن يجهش :

ـ اقتلنى . . حتى لا أبقى على هذا الحال . .

ردد الفارس : لا . . سـوف تبقى هكـذا . . لا أنت أزرق ولا أخضر، ونصفك الآخر خفى . .

وراح الشبح الأزرق سابقا يتوسل :

ـ أرجوك . . اقتلنى . . جزاء مافعلت . .

هنا ، كان الرفاق الأربعة قد وصلوا إلى مكان المواجهة ، وشاهدوا فارسهم النادر وقد امتلك ناصية الأمور أما الشبح فقد راح يتوسل ويتباكى أن يقتله الفارس بأى ثمن فإن فى موته راحة من العذاب وأيضا من الخزى أمام مدينته التى تخشاه ولايريد أن يعود إليها أبدا يحمل أذيال الهزيمة . .

سأل الفارس النادر :

ـ ألست أنت الذى وراء ضياع الألوان من مدينة «البرقوق الطازج» ؟

هز رأسه وقد بلغ ذرجة من المهانة لاتدانيها درجة . وردد : لن افعل هذا ثانية . . توبة . . توبة . .

وحاول أن يكرر الكلمة الأخيرة عدة مرات . بينما فكر الفارس النادر فى ما يمكن أن يفعله . . واستقر أن أفضل شىء أن يخرج به إلى حيث يوجد الحيوان ، حارس البوابة ، وعليه أن يقرر هو ماذا يمكن أن يفعل به .

(٥٦)

بعد قليل قال العجوز :

ـ الآن ، علينا أن نسرع للعودة . . فالوقت ضيق .

واستعد الجميع للعودة إلى الديار . لقد استطاعوا الآن تكوين كافة مزيجات الألوان من الألوان الرئيسية الثلاثة . فتكون الأخضر من مزج الأصفر بالأزرق ، أما البنفسجى فتكون من مزج الأحمر بالأزرق ، وتكون البرتقالى من مزج الأصفر بالبرتقالى . وهكذا تكونت ألوان الطيف الأساسية . .

وفى طريق العودة ، بدا كل شىء كأنه قد رجع إلى طبيعته فهذه الصحراء العظمى قد عادت إلى رونقها الأصفر بعد أن انسحب عنها اللون الاخضر الصناعى الذى كساها ، أما الأقزام فقد نجحوا فى استعادة ناقوسهم الضائع . . .

قال العجوز والجميع يقتربون من بوابة مدينة «البرقوق الطازج» :

ـ الآن علينا أن نسترجع قوس قزح المفقود . .

فى داخل المدينة بدا كل شىء كأنه فاقد الحياة واشتد حماس إدارة المدينة العليا لشن الحرب على جارتها اللدودة مدينة «التفاحة البنفسجية» ، كان هذا هو الشىء الوحيد الذى على إدارة المدينة أن تفعله كى تحاول إلهاء الناس عن تلك الكارثة التى أصابتهم أخيرا . وخاصة أن السحب الكثيفة لم تمطر بعد ، وأن العجوز لم يعد حتى الآن . .

نزل من فوق جواده واقترب من البوابة المغلقة وراح ينادى بأعلى صوته :

ـ أيها الرفاق . . لقد عدنا . .

لكن أحدا لم يرد . . بدا كأن الحرس قد غشيهم النوم العميق ، أو الحزن الشديد . صاحت عائشة :

ـ أنا عائشة . . بطلة الفريق القومي . . افتحوا الأبواب . .

وأخذت تدق فوق الباب الضخم المصنوع من المعادن التى لاتصدأ ، فجأة جاء صوت من خلف كوة الباب الصغيرة :

ـ الدخول ممنوع . . هذا آخر قرار . .

رد مصطفى : أنا مصطفى الصاروخ . . بطل الألعاب الصعبة .

جاء الصوت : ولو . . الحرب ستعلن بعد خمس دقائق . .

(٥٧)

فجأة هتفت مروة :

ـ انظروا . . المسوا معى .

وراحت تفرد إصبعها نحوهم . لقد كانت هناك نقطة مياه على إصبعها ، هتفت :

ـ إنه المطر . .

وقبل أن تنتهى من كلماتها سقطت نقطة أخرى . . بدت كأنها

تسقط من السماء الرمادية على استحياء . . هلل مصطفى :

ـ إنه المطر . . يسقط على بلادى . . إنه الخير . .

وصاحت عائشة مبتهلة : المطر . . أشكرك ياخالق المطر . .

هنا بدأت حبات المطر تتكثف وتزداد . . تمتم العجوز :

ـ يجب أن ندخل حالا . . فهذا أنسب وقت لاستعادة قوس قزح

صاحت عائشة مرة أخرى موجهة كلامها إلى الحارس الذى يقف خلف البوابة :

ـ افتح . . لقد سقط المطر . .

جاء صوته يقول : ولو . . إنها الأوامر .

رد شادى : خسارة . سيضيع كل شىء بسبب هذا الحارس .

قال العجوز :

ـ عندى فكرة . . يجب أن ندبرها . .

وقف الجميع خارج بوابة المدينة تحت سيل المطر الذى اشتد شيئا فشيئا ، وقال بصوت عالى كى يسمعوه :

ـ الأمطار لاتفرق بين مدينة وأخرى . . والرياح الآن تتجه نحو مدينتكم . . انظروا . .

كانت حبات المطر تسقط مائلة قليلا نحو الشمال بما يوحى أن الرياح تنطلق نحو مدينة « البرقوق الطازج » . . قال العجوز مكملا :



ـ الآن حان الوقت لنطلق قوس قزح . .

وراح يعد عدته .

أخرج مرآة الذاكرة . . ثم راح يضبطها كي يظهر على شاشتها شكل قوس قزح كما سجلته ذاكرتها . . وما إن ظهر القوس على سطح المرآة حتى قال العجوز :

ـ آه . . هناك مشكلة . .

(٥٨)

إنها مياه المطر تسقط على سطح المرآة وتكاد أن تجعلها عاجزة عن العمل بكفاءة . سألت عائشة :

ـ وما العمل ؟

قال : أكيد هناك حل . .

فجأة قالت مروة : إنها تجف . . إنها تعمل ذاتيا . .

تمتم العجوز : إنها مرآة عجيبة حقا . .

كان سطح المرآة قد أصبح لامعا . وانعكست عليه أشعة الشمس ، إلى جوار قوس قزح وقد راحت السحب تنقشع . . هنا أخرج العجوز مسدسا ضخما غريب الشكل من جيبه ثم فتحه وراح يفتح انبوبة الضوء الأحمر، فسكب منها فى فتحة واسعة حتى امتلأت ثم سكب الألوان البرتقالى والأزرق والأخضر والأصفر

والبنفسجى كل فى فتحة من فتحـات المسدس الضخم ذى الفوهة الواسعة .

راح الـرفاق يـرقبونـه باهتمام شـديد وهـم يعرفـون ماذا يفعـل بالضبط ، إنه يقوم بتركيب ألوان قـوس قزح وسوف يطلقها بواسطة هذا المسدس نحو السحاب .

كان كـل شىء يتحرك وفقا لخطـة محددة ودقيقة . وبدا عـامل الزمـن هاما للغايـة وحاسما . فيجب أن يحدث كل شـىء قبل أن ينتهى سقـوط المطر مباشرة . . حتـى يمكن لألوان قـوس قزح أن تتجمع هناك ، إنها فرصة نادرة .

راح العجـوز يضغـط على المسـدس بيـده ، لكنـه اكتشـف أن أصابعه الواهنة غير قادرة أن تجعل الألوان تنطلق إلى هدفها ، وكان لابد له أن يفعل شيئا ، كان لابد ليده أن تنسلخ من شيخوختها وأن يدب فيها الشباب والقوة كى تكون قادرة أن تدوس على الزناد .

وأنطلق اللون الأول : الأحمر . .

خرج من مكمنه فى المسدس كأنه يـود أن يتحرر من كافة قيوده وأن يعـود إلى تلـك السماء كـى يلعـب دورا هــامـا فى حيـاة أبنـاء المدينة . .

وسرعان مارسم اللون الأحمر قوسـا طويلا راح يمتد من الغرب إلى الشرق . . كان المنظر مهيبا ومثيرا للغاية . .

ثم داس العجوز بيـده القوية على الزناد مـرة أخرى . . وأطلق

اللون الثـانى . فـأخذ طـريقه إلى السماء يتمـدد إلى جوار زميلـه . وكأنه يعرف طريقه جيدا . .

وتتابعت الألوان فى انطلاقها . .

وعندما اكتمل قوس قزح . . كان مشهدا ، وياله من مشهد ! !

(٥٩)

صرخ رجل فى المدينة :

ـ انظروا . . لقد انتهت اللعنة . .

رفع النـاس أبصارهم إلى السماء ، أحسـوا كأنهم كانـوا مصابين بـالعمى . . ردت إليهـم نعمة البصر مـرة أخرى . . صرخ رجـل آخر:

ـ آه . . إنه قوس قزح . .

تمتمت امرأة : آه . . ما أحلى لونه ! !

قال ابنها : بل قولى يا أمى ، ما أحلى الألوان ! !

وكادت المرآة أن تبكى وهـى تنظر من النافـذة إلى السماء خارج المدينة ، وقالت وهى تترك لدموعها العنان :

ـ الألوان لاتدخل مدينتنا ياصغيرى . .

قال الصغير : لكن المطر جاء . .

ردت المرآة : إنه مطر عابر . .

وفى مكان آخـر وعلى سطح إحدى نـاطحات السحـاب وقف

شاب مع مخطوبته ، وقال :

ـ انظرى ما أحلى السماء . . ؟

ردت الفتاة : كم أحب المطر ، لذا طلبت منك أن نصعد هنا . .

قال الشاب : إنه قوس قزح . .

لم تكن الفتاة قد تنبهت بعد إلى ذلك القوس المتعدد الألوان الذى يظهر خارج المدينة ، ثم راح يتحرك شيئا فشيئا فوق مدينة البرقوق الطازج . كان المطر لايزال ينهمر . أما الشابان فقد أحسا فجأة بأن هناك شيئا عجيبا قد حدث . قال الفتى : .

ـ هل لاحظت شيئا ؟ . انظرى إلى وجهك . .

وضحكت الفتاة . . فلم يكن من المعقول أن تنظر إلى وجهها ، قال :

ـ لقد عادت إليه نضرته . . عاد إليه لونه . .

لمست الفتاة وجه خاطبها الذى غسله المطر ، بدا كأنه قد استعاد رونقه الأول . فرأت شعره الأسود وعينيه العسليتين وقميصه الأخضر وبنطلونه الأسود . . وصاحت :

ـ إنها المعجزة . .

(٦٠)

بعد قليل ، نظر إلى الشارع ، كان المطر قد كف عن الانهمار

وبدا قوس قزح يملك ناصية المدينة ، ينتشر أعلاها ، وبدا أن عودته قد ساعدت حبات المطر أن تغسل الناس من أحزانها وراحت تزيح عنها ذلك الحزن الكئيب الذى جثم فوق الجميع خلال الأيام القليلة الماضية .

ولم تمض سوى دقائق قليلة إلا وانفتحت أبواب المدينة مرة أخرى . وكان اللقاء بين الجميع ، كأن الجميع كانوا مصابين بالعمى وارتدت إليهم أبصارهم . . ويالها من أبصار تغمرها السعادة . .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٨٩
I.S.B.N. 977 - 09 - 0340 - x

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



خيـــال × خيـــال

اقرأ فـى هـذه السلسلة